10.الأصل الثاني :

قال المصنف رحمه الله: *الأَصْلُ الثَّانِي* مَعْرِفَةُ دِينِ الإِسْلامِ بِالأَدِلّةِ

وَهُوَ: الاسْتِسْلامُ للهِ بِالتَّوْحِيدِ، وَالانْقِيَادُ لَهُ بِالطَّاعَةِ، وَالْبَرَاءَةُ مِنَ الشِّرْكِ وَأَهْلِهِ، وَهُوَ ثَلاثُ مَرَاتِبَ: الإِسْلامُ، وَالإِيمَانُ، وَالإِحْسَانُ. وَكُلُّ مَرْتَبَةٍ لَهَا أَرْكَانٌ.

وهذا الجواب الثاني على السؤال الثاني في القبر: ما دينك؟

معرفة: المقصود بها علم نافع شرعي مصحوب بأدلته مقرون بعمل صالح ينفع صاحبه فيكون سببا في ثباته عند مساءلة الملكين في قبره، ولا يكون الأمر كذلك إلا:

- إذا علم.
- وعمل.
- واجتهد.
- ومات على ذلك.

فالمعرفة المجردة لدين الإسلام لا تنفع صاحبها شيئا بل تكون حجة عليه تضره يوم العرض والحساب كحال مفكري الإسلام المستشرقين الذين يكتفون بمعرفة الاسلام وشرائعه وأحكامه مجردة عن العمل بها وتمثلها في حياتهم الخاصة والعامة فهم يشبهون الى حد بعيد الاجساد الخالية من الأرواح وكأنهم اشباح لا غير.

دين الإسلام: يطلق الدين ويراد به معان متعددة:

- منها **الجزاء**: قال ربي سبحانه وتعالى ﴿مَٰلِكِ يَوۡمِ ٱلدِّينِ﴾ الفاتحة ٤. وقال سبحانه وتعالى: ﴿أَءِذَا مِتۡنَا وَكُنَّا تُرَابًا وَعِظَٰمًا أَءِنَّا لَمَدِينُونَ﴾ الصافات ٥٣ .
- ومنها **معنى الخضوع والطاعة**: يقال دان له أي خضع له. كما في قوله: ﴿متى كُنْتُم مطاريق أو دانَت لكم مُضَرُ﴾[1].
- ومنها **الملة والمعتقد** قال الله سبحانه وتعالى ﴿لَكُمۡ دِينُكُمۡ وَلِيَ دِينِ﴾ الكافرون ٦ .

[1] أي خضعت لكم مضر

ولما اضافه هنا الى الاسلام قيده به فعلم ان المراد به ملة الاسلام.

قال شيخ الاسلام ابن تيمية: رحمه الله فإن الإسلام الخاص الذي بعث الله به محمدا ﷺ المتضمن لشريعة القرآن: ليس عليه إلا أمة محمد ﷺ والإسلام اليوم عند الإطلاق يتناول هذا وأما الإسلام العام المتناول لكل شريعة بعث الله بها نبيا فإنه يتناول إسلام كل أمة متبعة لنبي من الأنبياء[1]

الاسلام الخاص الذي جاء به النبي ﷺ فكان خاتم الأديان والرسالات ولا يقبل الله دينا سواه، وهو الدين:

المكمل من قبل الله سبحانه وتعالى.

والنعمة التامة على عباده الموحدين المطيعين.

والاسلام المرضي من الله تعالى كما جاء في الآية الكريمة، قال الله سبحانه وتعالى: ﴿ ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِى وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلْإِسْلَٰمَ دِينًا ﴾ المائدة ٣

وهو الذي بمقتضاه يقع الفصل يوم القيامة بين العباد قبولا وردًا، قال الله سبحانه وتعالى: ﴿وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ ٱلْإِسْلَٰمِ دِينًا فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِى ٱلْءَاخِرَةِ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ﴾ آل عمران ٨٥

بالأدلة: أي اعتماد الدليل أثناء تعلم دين الإسلام بعيدا عن التقليد الذي لا ينفع صاحبه لا سيما في مسائل الاعتقاد وقديما قيل: مَنْ فَارَقَ الدَّلِيلَ ضَلَّ عَنْ سَوَاءِ السَّبِيلِ[2] وقد شاع بين الناس جملة: (أنا مع أمة محمد صلى الله عليه وسلم.) وهذا كلام لا طائل من ورائه وليس بحجة لقائله إذا كان يجهل دينه ولم يُقبل على تعلمه والعمل به.

فمن ملك أهلية العلم وأدواته فإنه لا يعذر بعدم تعلمه الدليل على إسلامه.

ومن كان أميا عاميا فإنه يؤاخذ من جهة أنه سأل عن طعامه وشرابه ومركوبه ومنكحه ولم يسأل عن دينه الذي هو أهم مسؤول عنه في حياته الدينية والأخروية. لاسيما اذا كان يعيش في بيئة وجد فيها أسباب التعلم من

---

[1] مجموع الفتاوي: (94/3)

2 قَالَ ابْنُ القَيِّمِ رَحِمَهُ اللهُ: «وَمَنْ أَحَالَكَ عَلَى غَيْرِ «أَخْبَرَنَا» وَ «حَدَّثَنا» فَقَدْ أَحَالَكَ: إِمَّا عَلَى خَيَالِ صُوفِيٍّ أَوْ قِيَاسٍ فَلْسَفِيٍّ، أَوْ رَأْيِ نَفْسِيٍّ، فَلَيْسَ بَعْدَ القُرْآنِ وَ «أَخْبَرَنَا» وَ«حَدَّثَنَا» إِلاَّ شُبُهَاتُ المُتَكَلِّمِينَ، وَآرَاءُ المُنْحَرِفِينَ وَخَيَالاَتُ المُتَصَوِّفِينَ وَقِيَاسُ المُتَفَلْسِفِينَ، وَمَنْ فَارَقَ الدَّلِيلَ ضَلَّ عَنْ سَوَاءِ السَّبِيلِ، وَلاَ دَلِيلَ إِلَى اللهِ وَالجَنَّةِ سِوَى الكِتَابِ وَالسُّنَّةِ، وَكُلُّ طَرِيقٍ لَمْ يَصْحَبْهَا دَلِيلُ القُرْآنِ وَالسُّنَّةِ، فَهِيَ مِنْ طُرُقِ الجَحِيمِ وَالشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ» [«مدارج السالكين» لابن القيم(468 /2) :].

علماء وطلبة علم ووسائل تمكنه من السؤال ومعرفة ما يحتاجه في دينه بأيسر السبل واقصر الطرق في ظل وجود هذه الآلات الناقلة لدروس العلماء الثقات الأحياء منهم حفظهم الله تعالى وأبقاهم على الجادة ثابتين متمسكين بالمنهج القويم والأموات منهم رحمهم الله تعالى وحشرهم في زمرة الصالحين .

والله ﷻ يقول: ﴿وَمَآ أَرۡسَلۡنَا مِن قَبۡلِكَ إِلَّا رِجَالٗا نُّوحِيٓ إِلَيۡهِمۡۚ فَسۡـَٔلُوٓاْ أَهۡلَ ٱلذِّكۡرِ إِن كُنتُمۡ لَا تَعۡلَمُونَ﴾ النحل ٤٣ ولا يقتصر طلب الدليل على معرفة الاسلام فقط. بل يجب أن يطلب الدليل الصحيح في كل مسائل الدين ،أعني في مسائل الاعتقاد والعبادة والمعاملة والأدب والسلوك.

وكأن سائلا سأل الشيخ رحمه الله: ما هو هذا الإسلام الذي يجب على كل مكلف معرفته معتمدا في ذلك على الأدلة الصحيحة الواضحة في كتاب الله وسنة رسوله ﷺ

فأجاب الشيخ رحمه الله بقوله هو: الاسْتِسْلامُ للهِ بِالتَّوْحِيدِ، وَالانْقِيَادُ لَهُ بِالطَّاعَةِ، وَالْبَرَاءَةُ مِنَ الشِّرْكِ وَأَهْلِهِ. فالشيخ رحمه الله فسر الاسلام بثلاثة أمور:

أولا: الاستسلام لله ﷻ بالتوحيد الخالص بأقسامه الثلاثة ربوبية وألوهية وأسماء وصفات .

ثانيا: الانقياد له بالطاعة وعدم الاعتراض على أمره ونهيه وحكمه ﷻ.

ثالثا: الخلوص من الشرك بجميع أنواعه وما يوصل إليه من أسباب ووسائل وذرائع.

ومعنى الاستسلام لله بالتوحيد: ولو قال الاسلام لله بالتوحيد لصح ذلك لانهما بمعنى واحد. أي الخضوع له والتذلل له ﷻ محبة وتعظيما وإجلالا، وذلك بتوحيده في ربوبيته وألوهيته وأسمائه وصفاته حق التوحيد، والمقصود الأخص توحيد الألوهية أي إفراده ﷻ بالعبادة لأن ذلك هو محل الخصومة والنزاع بين الرسل وأقوامهم، كما جاء ذلك مبين في القرآن العظيم.

والانقياد له بالطاعة: أي الانصياع لأمره فيمتثل أمره وينتهي عن نهيه وأن يتلبس بطاعة الله ﷻ في كل ما أمر به وينتهي عن كل ما نهى عنه دون معارضة أو منازعة أو مخالفة، ظاهرا وباطنا حالا وقالا.

والبراءة[1] من الشرك: أي التخلص من الشرك بكل أنواعه وتجنب أسبابه ووسائله المفضية إليه. وكذلك التبرء من أهله المشركين، وتجنبهم إلا أن تدعوهم الى التوحيد ، قال الله ﷻ في كتابه العزيـز: ﴿قَدْ كَانَتْ لَكُمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ فِيٓ إِبْرَٰهِيمَ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ إِذْ قَالُواْ لِقَوْمِهِمْ إِنَّا بُرَءَٰٓؤُاْ مِنكُمْ وَمِمَّا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ كَفَرْنَا بِكُمْ وَبَدَا بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمُ ٱلْعَدَٰوَةُ وَٱلْبَغْضَآءُ أَبَدًا حَتَّىٰ تُؤْمِنُواْ بِٱللَّهِ وَحْدَهُۥٓ إِلَّا قَوْلَ إِبْرَٰهِيمَ لِأَبِيهِ لَأَسْتَغْفِرَنَّ لَكَ وَمَآ أَمْلِكُ لَكَ مِنَ ٱللَّهِ مِن شَىْءٍ رَّبَّنَا عَلَيْكَ تَوَكَّلْنَا وَإِلَيْكَ أَنَبْنَا وَإِلَيْكَ ٱلْمَصِيرُ﴾ الممتحنة ٤. ولذلك قيد معنى الإسلام الصحيح أنه لا يتحقق الا بالبراءة من الشرك وأهله، وأصل البراءة بغض القلب للشرك وأهله، وما يتبع ذلك: نكفر من كفره الله ﷻ ورسوله ﷺ ومعاداتهم وبغضهم وعدم مقاربتهم ومساكنتهم ومخالطتهم الا فيما أباحه الشرع لنا وواجبنا نحوهم دعوتهم الى الدخول في دين الإسلام بالوسائل الصحيحة المباحة وترغيبهم في ذلك وجهادهم عند مشروعية الجهاد بتوفير شروطه وانتفاء موانعه مع مراعاة زمانه ومكانه ووسائله المشروعة.

قال المصنف رحمه الله: وَهُوَ ثَلاثُ مَرَاتِبَ: الإِسْلامُ، وَالإِيمَانُ، وَالإِحْسَانُ. وَكُلُّ مَرْتَبَةٍ لَهَا أَرْكَانٌ.

(هو ثلاث مراتب): وهو أي دين الإسلام الخاص الذي بعث النبي ﷺ وهو الذي تقع به المحاسبة في القبر ويسأل عنه، قال ابن تيمية رحمه الله في لاميته:

ولكل حي عاقل في قبره ❁❁❁عمل يقارنه هناك ويسأل.

يعني :كل إنسان إذا دخل قبره فإن عمله سيكون معه مقارناً له، ويسأل عن ربه وعن نبيه وعن دينه، كما ورد في الأحاديث الصحيحة.

معنى (مراتب) أي: منازل ودرجات بعضها أكمل أو أعلى من بعض وهي متقاربة:

1. **مرتبة الإسلام:** وهي البوابة الأولى التي يدخل منها الكافر الى دين الإسلام وذلك بنطق الشهادتين والحكم لأهلها بالإسلام.

[1] ورد في بعض النسخ والخلوص من الشرك والعبارة بالبراءة من الشرك وأهله أدل على المراد لان الخلوص من الشرك وهو الخروج منه دون الخلوص من أهله. ويؤيد هذا المعنى ما ورد في القرآن من قوله تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَٰهِيمُ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِۦٓ إِنَّنِى بَرَآءٌ مِّمَّا تَعْبُدُونَ ٢٦ إِلَّا ٱلَّذِى فَطَرَنِى فَإِنَّهُۥ سَيَهْدِينِ ٢٧ وَجَعَلَهَا كَلِمَةًۢ بَاقِيَةً فِى عَقِبِهِۦ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ٢٨﴾ [الزخرف ٢٦-٢٨]

2. **ومرتبة الإيمان:** الذي يبني على علم نافع ويثمر عملا صالحا.

3. **ومرتبة الإحسان:** وهو الاتيان بالشيء على أكمل وجوهه في الاعتقاد والقول والعمل.

وأهل الإسلام لا يخلو حالهم من إحدى هذه المراتب الثلاث، وقد ينتقل المسلم من مرتبة إلى مرتبة أعلى منها أو أدنى منها بحسب طاعته لله ﷻ، والتزامه بشرعه ووقوفه عند جدوده وأول تلك المراتب الإسلام، وأوسطها الإيمان، وأعلاها الإحسان. فإن المحسن مؤمن، والمؤمن مسلم فلا يلزم أن يكون المسلم مؤمنا والعكس صحيح ولا يلزم أن يكون المؤمن محسنا والعكس صحيح.

- المرتبة الاولى الاسلام: تتعلق بالأعمال الظاهرة والتي تظهر على اللسان والجوارح
- المرتبة الثانية الإيمان: تتعلق بالاعتقادات الباطنة المتمثلة في أعمال القلب وأقواله.

قال شيخ الاسلام ابن تيمية: رحمه الله فلما ذكر الإيمان مع الإسلام، جعل الإسلام هو الأعمال الظاهرة: الشهادتان والصلاة والزكاة والصيام والحج. وجعل الإيمان ما في القلب من الإيمان بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر وقال أيضا: ومعلوم أنه لم يرد أن هذه الأعمال تكون إيمانا بالله بدون إيمان القلب ; لما قد أخبر في غير موضع أنه لا بد من إيمان القلب فعلم أن هذه مع إيمان القلب هو الإيمان[1]

- المرتبة الثالثة الاحسان: مرتبة إتقان عمل الباطن وعمل الظاهر وتحقيق هذه المرتبة يكون إما على أعلى الدرجتين وهي:

الدرجة الأولى: عبادة الله كأنك تراه، وهذا «مقام المشاهدة» الجامع لمقامات الإسلام والايمان والاحسان، وهو أن يعمل العبد على مقتضى مشاهدته لله ﷻ بقلبه حيث يتنور القلب بالإيمان وتنفذ البصيرة في العرفان حتى يصير الغيب كالعيان، وهذا هو حقيقة مقام الإحسان المرغوب في الوصول اليه.

الدرجة الثانية: «مقام المراقبة» وهي أن يعمل العبد على استحضار مشاهدة الله ﷻ إياه واطلاعه عليه وقربه منه، فإذا استحضر العبد هذا في عمله وعمل عليه فهو مخلص لله ﷻ؛ لأن استحضاره ذلك في عمله يمنعه من الالتفات إلى غير الله ﷻ وإرادته بالعمل غير الله ﷻ

[1] مجموع الفتاوى (14/7 و9/7)

هذه المراتب الثلاث يدخل بعضها في بعض فالإسلام أوسع دائرة من الإيمان والإحسان وأخص منه الإيمان وأخص منه الإحسان، وأهلها جميعا يدخلون الجنة إما ابتداء دون حساب ولا عذاب وإما تبعا بعد قضاء ما عليهم من التبعات مع تفاوت درجاتهم في نوال نعيم الجنة.

قال المصنف رحمه الله (ولكل مرتبة أركان): أي تقوم عليها والركن الجانب القوي في البناء الذي لا يقوم الشيء ولا يثبت بدونه وهو جزء منه.

قال المصنف رحمه الله: فَأَرْكَانُ الإِسْلامِ خَمْسَةٌ: شَهَادَةُ أَن لا إله إلا اللهُ وَأَنّ مُحَمّدًا رَسُولُ اللهِ، وَإِقَامُ الصّلاةِ، وَإِيتَاءُ الزّكَاةِ، وَصَوْمُ رَمَضَانَ، وَحَجُّ بَيْتِ اللهِ الْحَرَامِ.

فَدَلِيلُ الشّهَادَةِ: قَوْلُهُ تَعَالَى:(شَهِدَ اللّهُ أَنّهُ لاَ اله إِلاّ هُوَ وَالْمَلاَئِكَةُ وَأُوْلُوا الْعِلْمِ قَآئِمًا بِالْقِسْطِ لاَ اله إِلاّ هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ وَمَعْنَاهَا: لا مَعْبُودَ بِحَقٍّ إلا اللهُ، و(لا إله) نَافِيًا جَمِيعَ مَا يُعْبَدُ مِنْ دُونِ اللهِ، (إلا اللهُ) مُثْبِتًا الْعِبَادَةَ للهِ وَحْدَهُ لا شَرِيكَ لَهُ فِي عِبَادَتِهِ، كَمَا أَنّهُ لَيْسَ لَهُ شَرِيكٌ فِي مُلْكِهِ.

وَتَفْسِيرُهَا: الّذِي يُوَضّحُهَا

قَوْلُهُ تَعَالَى: (وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ لأَبِيهِ وَقَوْمِهِ إِنّنِي بَرَآءٌ مّمّا تَعْبُدُونَ * إِلاّ الّذِي فَطَرَنِي فَإِنّهُ سَيَهْدِينِ * وَجَعَلَهَا كَلِمَةً بَاقِيَةً فِي عَقِبِهِ لَعَلّهُمْ يَرْجِعُونَ) [الزخرف: 26 ـ 28].

وقَوْلُهُ تَعَالَى: (قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ تَعَالَوْا إِلَى كَلِمَةٍ سَوَاءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلاّ نَعْبُدَ إِلاّ اللّهَ وَلاَ نُشْرِكَ بِهِ شَيْئًا وَلاَ يَتّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مّن دُونِ اللّهِ فَإِن تَوَلّوْاْ فَقُولُواْ اشْهَدُواْ بِأَنّا مُسْلِمُونَ)

وَدلِيلُ شَهَادَةِ أَنّ مُحَمّدًا رَسُولُ اللهِ:

قَوْلُهُ تَعَالَى: (لَقَدْ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُم بِالْمُؤْمِنِينَ رَؤُوفٌ رّحِيمٌ) [التوبة: 128].

وَمَعْنَى شَهَادَةِ أَنّ مُحَمّدًا رَسُولُ اللهِ: طَاعَتُهُ فِيمَا أَمَرَ، وَتَصْدِيقُهُ فِيمَا أَخْبَرَ، واجْتِنَابُ مَا نَهَى عَنْهُ وَزَجَرَ وأَلا يُعْبَدَ اللهُ إِلا بِمَا شَرَعَ.

(فأركان الإسلام خمسة): لا يستقيم الإسلام ولا يثبت بدونها وأهمها:

ركن الشهادتين: (شَهَادَةُ أَن لا اله إِلا اللهُ وَأَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللهِ، وَإِقَامُ الصَّلاةِ، وَإِيتَاءُ الزَّكَاةِ، وَصَوْمُ رَمَضَانَ، وَحَجُّ بَيْتِ اللهِ الْحَرَامِ) ذكر الشيخ محمد بن عبد الوهاب رحمه الله أركان الإسلام جملةً وهذا أسلوبه المنتقى من القرآن إجمالا

وتفصيلا [1]، ثم بدأ يدلل على كل ركن منها فجعل الإسلام كالبناية يقوم على خمسة أعمدة أساسية لا يستقر البناء إلا بوجودها، كما في حديث ابن عمر رضي الله عنهما في الصحيحين : بُنِيَ الإِسْلَامُ عَلَى خَمْسٍ :شَهَادَةِ أَنْ لا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وأَنَّ مُحَمَّدًا رَسولُ اللَّهِ، وإِقَامِ الصَّلَاةِ، وإِيتَاءِ الزَّكَاةِ، والحَجِّ، وصَوْمِ رَمَضَانَ.

قال الحافظ الحكمي [2] رحمه الله في سلم الوصول:

الإِسْلَامِ وَالْإِيمَانِ وَالْإِحْسَانِ ❁❁❁ وَالْكُلُّ مَبْنِيٌّ عَلَى أَرْكَانِ

فَقَدْ أَتَى :الْإِسْلَامُ مَبْنِيٌّ عَلَى ❁❁❁ خَمْسٍ فَحَقِّقْ وَادْرِ مَا قَدْ نُقِلَا

أَوَّلُهَا الرُّكْنُ الْأَسَاسُ الْأَعْظَمُ ❁❁❁ وَهْوَ الصِّرَاطُ الْمُسْتَقِيمُ الْأَقْوَمُ

رُكْنُ الشَّهَادَتَيْنِ فَاثْبُتْ وَاعْتَصِمْ ❁❁❁ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَى الَّتِي لَا تَنْفَصِمْ

وَثَانِيًا إِقَامَةُ الصلَاةِ ❁❁❁ وَثَالِثًا تَأْدِيَةُ الزَّكَاةِ

وَالرَّابِعُ الصِّيَامُ فَاسْمَعْ وَاتَّبِعْ ❁❁❁ وَالْخَامِسُ الْحَجُّ عَلَى مَنْ يَسْتَطِعْ

قـــوله رحمه الله: فَدَلِيلُ الشَّهَادَةِ: قَوْلُهُ تَعَالَى: (شَهِدَ اللَّهُ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ وَالْمَلَائِكَةُ وَأُولُوا الْعِلْمِ قَائِمًا بِالْقِسْطِ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ) [آل عمران، 18].

والمراد بالشهادة:(**شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله**) وبدأ بذكر الشهادتين لأهمية موقعها من بقية الأركان وهي العمود الأساس في البناء ولا يصح قول ولا عمل الا بها، وهي مركبة من جزئين متلازمين لا يصح أحدهما إلا بمرافقة الآخر فهما متداخلان متكاملان لا يصح اسلام المرء الا بمجموعهما اقرارا وقولا وعملا:

الأول: يتضمن (**النفي والإثبات**)[3] وهو حق محض خاص بالله تعالى. لا ينبغي أن يشاركه فيه أحد أيّا كان

[1] فقد أجمل الله القرآن كله في الفاتحة والفاتحة في: إياك نعبد وإياك نستعين وأجمل في بداية سورة البقرة التكلم على المسلمين والكافرين والمنافقين وفصل في سورة البقرة حال اليهود وفي آل عمران حال النصارى والنساء حال المؤمنين وفي براءة حال المنافقين. زدتها شيخي لتوضيح المعنى والأمر اليك وبارك الله فيك ونفع بك

[2] توفي الشيخ حافظ رحمه الله بمكة المكرمة السبت 18– 12 – 1377هـ إثر مرض ألمّ به ودفن فيها، وله (35) سنة.

[3] معناه نفي الإلهية والعبودية من غير الله تعالى، مما يعبد من دونه بالباطل، وإثبات الإلهية، العبودية لله، وحدة دون ما سواه.

قال الله ﷻ: ﴿وَمَآ أُمِرُوٓاْ إِلَّا لِيَعۡبُدُواْ ٱللَّهَ مُخۡلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ حُنَفَآءَ وَيُقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤۡتُواْ ٱلزَّكَوٰةَۚ وَذَٰلِكَ دِينُ ٱلۡقَيِّمَةِ﴾ البينة ٥.

قال الله ﷻ: ﴿ٱتَّخَذُوٓاْ أَحۡبَارَهُمۡ وَرُهۡبَٰنَهُمۡ أَرۡبَابٗا مِّن دُونِ ٱللَّهِ وَٱلۡمَسِيحَ ٱبۡنَ مَرۡيَمَ وَمَآ أُمِرُوٓاْ إِلَّا لِيَعۡبُدُوٓاْ إِلَٰهٗا وَٰحِدٗاۖ لَّآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۚ سُبۡحَٰنَهُۥ عَمَّا يُشۡرِكُونَ﴾ التوبة ٣١.

الثاني: الإقرار بعموم رسالة (محمد ﷺ)، وتجريد المتابعة له في الاعتقاد والقول والعمل. وقبول شرعه وحكمه من غير حرج ولا ضيق ولا اعتراض بل يجب التسليم والرضا بكل ما جاء به من الاخبار والاحكام.

ووجه الاستدلال من الآية الكريمة التي أوردها المصنف رحمه الله دليلا على بيان معنى الشهادتين: أنها تضمنت أعظم شهادة في الوجود على أعظم مشهود به والشهادة الحقة لا تكون صحيحة مقبولة إلا إذا ضمت هذه المراتب الثلاث:

1. أن يعتقد ويعلم بقلبه صحة المشهود به وهو إقرار القلب بها.
2. أن يتكلم بما يشهد به بلسانه ولو معه نفسه وهو إقرار باللسان.
3. أن يعلم غيره بما يشهد به ويبينه له فيكون معنى الشهادة هنا العلم بأن لا إله إلا الله والنطق بذلك والإعلام به. ووجه الاستدلال من الكريمة السابقة على وجوب الشهادة لله ﷻ:

أن الله ﷻ شهد لنفسه: أنه لا إله إلا هو المنفرد بالإلهية وكفى به شهيدا، وشهادة الله تتضمن الحكم والقضاء والإلزام.[1]

وشهد له بذلك الملائكة: وهم عمار السماء المكرمون المطيعون العابدون الذين لا يفترون.

وشهد له بذلك أيضا أولو العلم: من الثقلين، وفيها منقبة لهم فأنتبه

فكان الله ﷻ أعظم شاهد على أعظم مشهود، وهو شهادة التوحيد. ثم ضم إلى شهادته شهادة أعظم وأكرم مخلوقاته وهم الملائكة الكرام المقربون. ثم ثلث شهادة أهل العلم الربانيين الأثبات، وذلك يعد مكرمة لهم، ومنقبة استحقوا نيلها

[1] فإذا شَهِدَ اللهُ أنَّه لا إلهَ إلَّا هو فقد أخبَرَ وبَيَّن وأعلَم وحكَم وقضى أنَّ ما سِواه ليس بإلهٍ، وأنَّ إلهيَّةَ ما سِواه أبطَلُ الباطِلِ، وإثباتُها أظلَمُ الظُّلْمِ، فلا يستَحِقُّ العِبادةَ سِواه، وذلك يَستلزِمُ الأمرَ باتخاذِه وَحْدَه إلهًا، والنَّهيَ عن اتخاذِ غيرِه معه إلهًا. يُنظر: ((مدارج السالكين)) لابن القيم (422/3). قال ابنُ القَيِّم: (الأدِلَّةُ قد دلَّت على أنَّه سُبحانه وَحْدَه المستَحِقُّ للعِبادةِ، فإذا أخبَرَ أنَّه هو وَحْدَه المستَحِقُّ للعِبادةِ، تضَمَّنَ هذا الإخبارُ: أمْرَ العبادِ وإلزامَهم بأداءِ ما يَستحِقُّه الرَّبُّ تعالى عليهم، وأنَّ القيامَ بذلك هو خالِصُ حَقِّه عليهم، فإذا شَهِدَ سُبحانه أنَّه لا إلهَ إلَّا هو، تضَمَّنَت شهادتُه الأمرَ والإلزامَ بتوحيدِه. نقلت هذا الكلام شيخنا لفهم مرادك فالأمر صعب على الطالب والأمر لك وجزاك البارك خير الجزاء

بسبب شهادتهم الحقة لله ﷻ بالوحدانية الكاملة، وختم سبحانه هذه الشهادة بأن وصف نفسه بالعزة والحكمة توكيد لاستحقاق إفراده بالعبودية وتنزيهه عن كل العيوب والنقائص، ثم أكد ذلك كله بقول (لاَ إِله إِلاّ هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ).

ومعناها لا معبود بحق الا الله وكأن سائلا يسأل: ما معنى لا إله إلا الله ؟، فأجابه المصنف رحمه الله قال: وَمَعْنَاهَا: لا مَعْبُودَ بِحَقٍّ إِلا اللهُ. وزاد الشيخ رحمه الله توضيحا لمعنى الشهادة فقال: (لا إله) نَافِيًا جَمِيعَ مَا يُعْبَدُ مِنْ دُونِ اللهِ، (إِلا اللهُ) مُثْبِتًا الْعِبَادَةَ للهِ وَحْدَهُ لا شَرِيكَ لَهُ فِي عِبَادَتِهِ، كَمَا أَنَّهُ لَيْسَ لَهُ شَرِيكٌ فِي مُلْكِهِ.[1]

وَتَفْسِيرُهَا: الَّذِي يُوَضِّحُهَا قَوْلُهُ تَعَالَى: (وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ لأبيه وَقَوْمِهِ إِنَّنِي بَرَآء مِّمَّا تَعْبُدُونَ * إِلاَّ الَّذِي فَطَرَنِي فَإِنَّهُ سَيَهْدِينِ * وَجَعَلَهَا كَلِمَةً بَاقِيَةً فِي عَقِبِهِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ) [الزخرف: 26 ـ 28].

وقَوْلُهُ تَعَالَى: (قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ تَعَالَوْاْ إِلَى كَلَمَةٍ سَوَاء بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلاَّ نَعْبُدَ إِلاَّ اللّهَ وَلاَ نُشْرِكَ بِهِ شَيْئًا وَلاَ يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِّن دُونِ اللّهِ فَإِن تَوَلَّوْاْ فَقُولُواْ اشْهَدُواْ بِأَنَّا مُسْلِمُونَ)

اعلم أن النفي المحض ليس توحيدا خالصا لله ﷻ لأنه عدم محض وليس شيء وهو تعطيل محض ولا يعبر عن شيء، كما أن الإثبات المحض ليس توحيدا خالصا لله ﷻ، لأمه يحتمل المشاركة بل لابد في هذه الكلمة من "نفي واثبات"، وقد استدل الشيخ رحمه الله بتوحيد الربوبية الذي استلزم توحيد الألوهية فمن أظلم الظلم أن الذي ليس له شيء من الملك يملكه ويدبره ويتصرف فيه أن يجعل شريكا مع الله في عبادته الذي له ملك السماوات والأرض وما فيهن وما بينهما.

وهذه الكلمة التي أُمر النبي ﷺ أن يدعو إليها أهل الكتاب وهي أيضا التي طالب بها النبي ﷺقومه العرب خاصة والناس عامة وكان يطوف بالأسواق ويعترض الناس في مواسم الحج والعمرة ويقول لهم: قولوا لا اله الا الله تفلحوا وهي نفسها التي طالب النبي ﷺعمه أبا طالب وهو على فراش الموت لينال بها شفاعته فيه يوم القيامة. وهي :

- الكلمة الفارقة بين الإسلام والكفر.
- وهي كلمة التقوى.
- وهي العروة الوثقى.
- وهي الشجرة الطيبة التي أصلها ثابت وفرعها في السماء.

[1] لا : نافية للجنس تعمل عمل إن واله: اسم لا منصوب وخبرها محذوف تقدير حق أو بحق. والا: اداة استثناء والله ﷻ: مستثنى وهو بدل من الضمير المستتر في حق. الخبر المحذور. فلو قدرناه الخبر بموجود أو مخفي أو خالق أو غيرها فانه لا يستقيم معنى كلمة لا إله الا الله. ما دام هناك آلهة كثيرة تعبد مع الله ﷻ بدليل القرآن العظيم في قوله الله ﷻ:﴿وَمَا ظَلَمْنَٰهُمْ وَلَٰكِن ظَلَمُوٓاْ أَنفُسَهُمْ فَمَآ أَغْنَتْ عَنْهُمْ ءَالِهَتُهُمُ ٱلَّتِى يَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ مِن شَىْءٍ لَّمَّا جَآءَ أَمْرُ رَبِّكَ ۖ وَمَا زَادُوهُمْ غَيْرَ تَتْبِيبٍ﴾ مود ١٠١ . فلا بد هنا من ضابط كلمة حق أو بحق. اي ان الذي يعبد بحق هو واحد وهو الله ﷻ وما عبد من دونه من الالهة فعبد باطل وبظلم. كما قال الله ﷻ : ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْحَقُّ وَأَنَّ مَا يَدْعُونَ مِن دُونِهِۦ هُوَ ٱلْبَٰطِلُ وَأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْعَلِىُّ ٱلْكَبِيرُ﴾ الحج ٦٢

- وهي الكلمة التي جعلها إبراهيم في عقبه لترجع إليه ذريته.
- وهي الكلمة التي أوصى بها إبراهيم عليه الصلاة والسلام بنيه ويعقوب عليه الصلاة والسلام.
- وهي التي من أجلها خلق الله السماوات والأرض.
- ولأجلها خلق الخلق وأرسل الرسل وأنزل الكتب وشرع الجهاد، واستحلت الدماء والأموال وسُبيت النساء والذراري.
- ولأجلها توضع موازين القسط يوم القيامة وتنشر الصحف ويقع الحساب وتفتح الجنة أبوابها لاستقبال أهلها وعمارها وكذا النار.
- وعليها يترتب الثواب والعقاب والخلود في النار أو النجاة منها والخلود في الجنة.
- وهي أثقل شيء في ميزان العبد يوم القيامة.

وهذه الكلمة لا يمكن أن تنفع قائلها الا اذا حقق شروطها وهي كما .

قال الشيخ حافظ الحكمي رحمه الله في منظومته سُلَّمُ الوصول:

العلم واليقين والقبـــــول ❁❁❁والانقيـاد فأدر ما أقول

والصـدق والإخلاص والمحبة ❁❁❁وفقك الله لما أحبـــه.

الشروط	النواقض
العلم	الجهل
اليقين	الشك
القبول	الرد
الانقياد	الاعراض
الصدق	الكذب
الإخلاص	الشرك
المحبة	ما يضاده

وزاد بعضهم شرطا ثامنا وهو الكفر بما يعبد من دون الله كما ورد بذلك الخبر الصحيح.

ثم قـال الشيخ رحمه الله: وَدلِيلُ شَهَادَةِ أنّ مُحَمّدًا رَسُولُ اللهِ:

قَوْلُهُ تَعَالَى: (لَقَدْ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُم بِالْمُؤْمِنِينَ رَؤُوفٌ رَّحِيمٌ) [التوبة: 128].

وَمَعْنَى شَهَادَةِ أنّ مُحَمّدًا رَسُولُ اللهِ: طَاعَتُهُ فِيمَا أَمَرَ، وَتَصْدِيقُهُ فِيمَا أَخْبَرَ، واجْتِنَابُ مَا نَهَى عَنْهُ وَزَجَرَ وأَلا يُعْبَدَ اللهُ إِلا بِمَا شَرَعَ.

اللام في قوله لقد: هذه اللام تسمى الموطئة للقسم لأن هناك قسمًا محذوفًا تقديره (والله) لقد جاءكم رسول من أنفسكم، والمقسم هو الله تعالى. وهذا لتأكيد الكلام المذكور في نفس السامع، وذلك بمؤكدات ثلاث اللام والقسم وقد

ومعنى شهادة أن محمدا رسول الله: أن يعتقد أن محمدا ﷺ أرسله الله بدين الإسلام اعتقادا يصحبه قولاً باللسان إخبار عما يقن في قلبه واستقر، وهذه الآية التي ساقها المصنف رحمه الله شاهدة على ذلك واضحة الدلالة على المراد، ومن الأدلة الشاهدة على رسالة النبي ﷺ

ومن القرآن قول الله تعالى: ﴿إِذَا جَآءَكَ ٱلْمُنَٰفِقُونَ قَالُواْ نَشْهَدُ إِنَّكَ لَرَسُولُ ٱللَّهِ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ إِنَّكَ لَرَسُولُهُۥ وَٱللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ لَكَٰذِبُونَ﴾ المنافقون ١

١ــ والواجب من الشهادة لله تعالى هو: الشهادة له بالتوحيد الخالص.

٢ــ والواجب من الشهادة لرسول الله صلى الله عليه وسلم هو: الشهادة له بالرسالة.

فهذان المعنيان هما المتعلقان بركني الشهادة التي عليها مدار قبول اسلام المرء أو رده.

وسبق تقرير أن الشهادة لا تكون صحيحة مقبولة إلا باجتماع ثلاثة أمور فيها وهي:

١ــ علم الشاهد بها.

٢ــ اعتقاد صحة ما شهد به.

٣ــ تكلم الشاهد بذلك ونطقه به ولو مع نفسه.

وبناء عليه فيجب أن يعلم العبد ويعتقد ويتكلم ويخبر بأن محمدا رسول الله صلى الله عليه وسلم الى جميع الخلق إنسهم وجنهم أنزل عليه الوحي فبلغ ذلك أتم البلاغ.

وهناك من يفسر شهادة أن محمد رسول الله بمقتضاها كما فعل "المصنف" حيث قال: (وَمَعْنَى شَهَادَةِ أَنّ مُحَمّدًا رَسُولُ اللهِ: طَاعَتُهُ فِيمَا أَمَرَ، وَتَصْدِيقُهُ فِيمَا أَخْبَرَ، واجْتِنَابُ مَا نَهَى عَنْهُ وَزَجَرَ وأَلا يُعْبَدَ اللهُ إِلا بِمَا شَرَعَ.)، فمعنى هذه الشهادة من طريق اللزوم بأربعة أمور هي:

1. طاعته فيما أمر: فإن ما جاء به النبي ﷺ:
   أ. إما أن يكون خبرا فالواجب فيه التصديق.
   ب. وإما أن يكون أمرا فالواجب فيه الانقياد والتسليم، وقد يكون الأمر إما:
      1. بالفعل أو بالترك.

(فالواجب في الأخبار التصديق والواجب في الأحكام الطاعة والانقياد والتسليم).

2. فإن لم يطع الإنسان "رسول الله ﷺ: أو اعتقد أنه لا يطاع فان ذلك يعد تكذيبا منه لشهادته التي نطق بها وقد يصل الى نقض شهادته فيكفر بذلك ويخرج من ملة الإسلام..
3. أما إذا اعتقد أنه يجب طاعته فيما أمر لكنه خالف لغلبة هواه يكون عاصيا، قد نقص تحقيقه لشهادة أن محمدا ﷺ بقدر مخالفته.

ت. وما أمر به ﷺ على نوعين:
   1. ما كان في سبيل الوجوب فتجب طاعته فيه.
   2. وما كان على سبيل الاستحباب فيستحب الطاعة فيه.

قال ابن القيم رحمه الله: «الشهادة لرسول الله بأنه نبي لا تُدخل الإنسانَ في الإسلام ما لم يلتزم طاعته ومتابعته، فشهادة عمه أبي طالب له بأنه صادق، وأن دينه من خير أديان البرية دينًا[1] لم تُدْخِلهُ هذه الشهادة في الإسلام، ومن تأمَّل ما في السير والأخبار الثابتة من شهادة كثير من أهل الكتاب والمشركين له صلى الله عليه وسلم بالرسالة، وأنه صادق، ولم تدخلهم هذه الشهادة في الإسلام، علِمَ أن الإسلام أمرٌ وراء ذلك، وأنه ليس هو المعرفة فقط، ولا المعرفة والإقرار فقط، بل المعرفة والإقرار والانقياد، والتزام طاعته ودينه ظاهرًا وباطنًا.[2]

[1] في قصيدته المعروفة: لامية أبي طالب في نصر رسول الله والتي مطلعها: خليليَّ ما أُذْنِي لأوَّلِ عاذلٍ***بِصَغْواءَ في حقٍّ ولا عندَ باطلِ

[2] زاد المعاد.(3 /638)

2. تصديقه فيما أخبر: كما أن الأمر يستوجب الانقياد والطاعة كذلك الخبر يستوجب التصديق، فما اخبر به النبي ﷺ من الغيب هو وحي من عند الله فيما يتعلق بالأخبار عن الله ﷻ وأسمائه، وصفاته، والجنة، والنار، وقصص الماضين، فالمؤمن يصدق النبي ﷺ بما أخبر به سواء عقل ذلك أم لم يعقله، وسواء أدرك بنظره أو أم لم يدركه وسواء عرف الحكمة من ذلك أم لم يعرفها .

3. اجتناب ما نهى عنه وزجر: قال الله ﷻ: (وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَىٰكُمْ عَنْهُ فَٱنتَهُوا۟ ۚ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ). الحشر ٧ والتعبير بلفظ (اجتناب) أولى من (ترك) وذلك بترك المحرمات، وكذلك المشتبهات والمعنى اجتناب المنهيات وما يوصل اليها من الوسائل والأسباب.

وألا يعبد الله الا بما شرع: أي لا يعبد الله بالأهواء والمحرمات والبدع، وآراء الرجال، وكذا الاستحسانات العقلية المختلفة وإنما تتحقق عبادته تعالى من طريق واحدة هي اتباع النبي ﷺ أي بما شرع الله على لسان نبيه محمد ﷺ لأنه يمثل الطريق الوحيد الذي من خلاله يعرف الحلال والحرام والأحكام وغيرها.

ومقتضى هذه الشهادة أيضا ألا يعتقد المؤمن أن لرسول الله ﷺ حقا في الربوبية أو شيئا من العبادة يمكن أن تصرف إليه بل هو عبد لا يعبد ورسول لا يكذب ولا يملك لنفسه ولا لغيره شيئا من النفع أو الضر إلا ما شاء الله تعالى، قال الله ﷻ: ﴿قُل لَّآ أَقُولُ لَكُمْ عِندِى خَزَآئِنُ ٱللَّهِ وَلَآ أَعْلَمُ ٱلْغَيْبَ وَلَآ أَقُولُ لَكُمْ إِنِّى مَلَكٌ ۖ إِنْ أَتَّبِعُ إِلَّا مَا يُوحَىٰٓ إِلَىَّ ۚ قُلْ هَلْ يَسْتَوِى ٱلْأَعْمَىٰ وَٱلْبَصِيرُ ۚ أَفَلَا تَتَفَكَّرُونَ﴾ الأنعام ٥٠ فهو عبد مأمور يتبع ما أُمر به، ولا يأمر الناس بعبادته إنما يأمرهم بعبادة الله وحدة كما قال الله ﷻ : ﴿مَا كَانَ لِبَشَرٍ أَن يُؤْتِيَهُ ٱللَّهُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحُكْمَ وَٱلنُّبُوَّةَ ثُمَّ يَقُولَ لِلنَّاسِ كُونُوا۟ عِبَادًا لِّى مِن دُونِ ٱللَّهِ وَلَٰكِن كُونُوا۟ رَبَّٰنِيِّۦنَ بِمَا كُنتُمْ تُعَلِّمُونَ ٱلْكِتَٰبَ وَبِمَا كُنتُمْ تَدْرُسُونَ﴾ آل عمران ٧٩

الخلاصة: المقصود من معرفة الشهادتين الركن الأول من أركان الإسلام: العلم بمعنى الشهادتين مع النطق بهما باللسان الا أن يعجز على ذلك، والعمل بما دلت عليه، هذه الشهادة الحقة في مجال الاعتقاد والعبادة والمعاملة والاحكام والسلوك فإنها لا تنفع صاحبها الا بعد العمل بما اقتضته من تبعات في جميع الاحوال

قال شيخ الاسلام رحمه الله:(وكلما كان الرجل أتبع لمحمد صلى الله عليه وسلم كان أعظم توحيداً لله وإخلاصاً له في الدين وإذا بعد عن متابعته نقص من دينه بحسب ذلك فإذا أكثر بعده عنه ظهر فيه من الشرك والبدع مالا يظهر فيمن هو أقرب منه إلى اتباع الرسول)[1].

ورحم الله الامام الزهري حيث قال: من الله الرسالة وعلى الرسول البلاغ وعلينا التسليم. [2]

قال المصنف (رحمه الله):" وَدَلِيلُ الصّلاةِ، وَالزّكَاةِ، وَتَفْسِيرُ التّوْحِيدِ: قَوْلُهُ تَعَالَى) :وَمَا أُمِرُوا إِلاّ لِيَعْبُدُوا اللّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدّينَ حنفاء وَيُقِيمُوا الصّلاةَ وَيُؤْتُوا الزّكَاةَ وَذَلِكَ دِينُ الْقَيّمَةِ) البينة: 5.

وهذه الآية عامة جامعة شاملة لجميع أنواع العبادة التي يتقرب بها العبد إلى الله سبحانه وتعالى فيجب أن يكون فيها مخلصا لله سبحانه وتعالى وحده لا شريك له حنيفا مائلا عن الشرك الى التوحيد الخالص متبعا لشريعته سبحانه وتعالى أمرا ونهيا فعلا وتركا.

وذكر الصلاة والزكاة هنا من باب عطف الخاص على العام لأن إقامة الصلاة وإيتاء الزكاة من أفراد العبادة، والتخصيص بذكرها هنا لما لهما من أهمية ومكانة في الدين فالصلاة عبادة بدنية والزكاة عبادة مالية، وهما قرينتان في كتاب الله كثيرا ما يتلازمان في مواطن كثيرة في كتاب ربي سبحانه وتعالى.

وذكرهما هنا إلى جانب التوحيد تنبيها على أنهما لا يصحّان بدون توحيد الله تعالى وهما من أعمال الطاعات الدالة على تحقيق توحيد العبد لله سبحانه وتعالى

لذلك قال الله سبحانه وتعالى: ﴿وَمَآ أُمِرُوٓاْ إِلَّا لِيَعۡبُدُواْ ٱللَّهَ مُخۡلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ حُنَفَآءَ وَيُقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤۡتُواْ ٱلزَّكَوٰةَۚ وَذَٰلِكَ دِينُ ٱلۡقَيِّمَةِ﴾ البينة ٥ .أي دين الملة القيمة المستقيمة الحقة التي لا اعوجاج فيها.

لذلك قال "الصديق" رضي الله عنه فيمن فرق بينهما من جهة الترك أو الجحود وهاك القصة :(لَمَّا تُوُفِّيَ رَسولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ وكانَ أبو بَكْرٍ رَضِيَ اللَّهُ عنْه، وكَفَرَ مَن كَفَرَ مِنَ العَرَبِ، فَقالَ عُمَرُ رَضِيَ اللَّهُ عنْه: كيفَ تُقَاتِلُ النَّاسَ؟ وقدْ قالَ رَسولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ: أُمِرْتُ أنْ أُقَاتِلَ النَّاسَ حتَّى يقولوا: لا إلَهَ إلَّا اللَّهُ، فمَن قالَها فقَدْ عَصَمَ مِنِّي مَالَهُ ونَفْسَهُ

[1] مجموع الفتاوى 17/ 498

[2] رواه البخاري تعليقا :(2738/6)

إِلَّا بِحَقِّهِ، وحِسَابُهُ علَى اللَّهِ فَقالَ: واللَّهِ لَأُقَاتِلَنَّ مَن فَرَّقَ بيْنَ الصَّلَاةِ والزَّكَاةِ، فإنَّ الزَّكَاةَ حَقُّ المَالِ، واللَّهِ لو مَنَعُونِي عَنَاقًا كَانُوا يُؤَدُّونَهَا إلى رَسولِ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ لَقَاتَلْتُهُمْ علَى مَنْعِهَا قالَ عُمَرُ رَضِيَ اللَّهُ عنْه: فَوَاللَّهِ ما هو إلَّا أنْ قدْ شَرَحَ اللَّهُ صَدْرَ أبِي بَكْرٍ رَضِيَ اللَّهُ عنْه، فَعَرَفْتُ أنَّه الحَقُّ).[1]

وهذه الثلاثة المذكورة في أركان الإسلام (الشهادتان والصلاة والزكاة)، هي أعظم أركان الإسلام وكثيرا ما يأتي في الكتاب والسنة الجمع بينها كما قال الله ﷻ: ﴿فَإِن تَابُواْ وَأَقَامُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَوُاْ ٱلزَّكَوٰةَ فَإِخۡوَٰنُكُمۡ فِي ٱلدِّينِۗ وَنُفَصِّلُ ٱلۡأٓيَٰتِ لِقَوۡمٖ يَعۡلَمُونَ﴾ التوبة ١١ معناه: إن تابوا من الشرك وأقاموا الصلاة وآتوا الزكاة فهم إخوان لكم في الدين، لهم ما لكم، وعليهم ما عليكم.

قال المصنف (رحمه الله): ودَلِيلُ الصِّيَامِ: قَوْلُهُ تَعَالَى: (يأيها الّذِينَ آمَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى الّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلّكُمْ تَتّقُونَ) [البقرة: 183].

ودَلِيلُ الْحَجِّ: قَوْلُهُ تَعَالَى: (وَلِلّهِ عَلَى النّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ مَنِ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا وَمَن كَفَرَ فَإِنّ اللّه غَنِيٌّ عَنِ الْعَالَمِينَ) [آل عمران: 97].

وهنا ذكر الشيخ رحمه الله الركن الرابع والخامس من أركان الإسلام وهما الصيام والحج:

فالصيام: هو الإمساك عن المفطرات تعبدا لله ﷻ من طلوع الفجر الى غروب الشمس وقد أوجبه الله ﷻ على من سبقنا من الأمم وفيه دليل أنها عبادة محبوبة لله مرضية عنده وغايتها تحصيل تقوى الله ﷻ والتقرب إليه والسعي لنيل مرضاته كما قال تعالى ﷻ : ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُتِبَ عَلَيۡكُمُ ٱلصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِكُمۡ لَعَلَّكُمۡ تَتَّقُونَ﴾ البقرة ١٨٣.

الحج: فقد أوجبه الله ﷻ على المسلمين في السنة التاسعة من الهجرة (٩هـ)، ورتب ذلك على توفر القدرة والاستطاعة، جعل ذلك مرة في عمر المسلم، وبعدها يكون حج تطوع، وجاء أن الحج المبرور لا جزاء له إلا الجنة. ومن ملك القدرة ولم يحج فإنه يكفر بذلك كفرا أصغر على قول جمهور العلماء إلا إذا أنكر وجوب الحج

[1] الراوي : أبو هريرة | المحدث : البخاري | المصدر : صحيح البخاري الصفحة أو الرقم | 1399 :

فإنه يكفر كفرا أكبر قال الله تعالى : ﴿فِيهِ ءَايَٰتُۢ بَيِّنَٰتٌ مَّقَامُ إِبۡرَٰهِيمَۖ وَمَن دَخَلَهُۥ كَانَ ءَامِنٗاۗ وَلِلَّهِ عَلَى ٱلنَّاسِ حِجُّ ٱلۡبَيۡتِ مَنِ ٱسۡتَطَاعَ إِلَيۡهِ سَبِيلٗاۚ وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَنِيٌّ عَنِ ٱلۡعَٰلَمِينَ﴾]آل عمران ٩٧[.

قال المصنف (رحمه الله): الْمَرْتَبَةُ الثَّانِيَةُ:

الإِيمَانُ وَهُوَ بِضْعٌ وَسَبْعُونَ شُعْبَةً، فَأَعْلاهَا قَوْلُ لا اله إلا اللهُ، وَأَدْنَاهَا إِمَاطَةُ الأَذَى عَنِ الطَّرِيقِ، وَالْحَيَاءُ شُعْبَةٌ مِنْ الإِيمَانِ.

وَأَرْكَانُهُ سِتَّةٌ: أَنْ تُؤْمِنَ بِاللهِ، وَمَلائِكَتِهِ، وَكُتُبِهِ، وَرُسُلِهِ، وَالْيَوْمِ الآخِرِ، وَتُؤْمِنَ بِالْقَدَرِ خَيْرِهِ وَشَرِّهِ، وَالدَّلِيلُ عَلَى هَذِهِ الأَرْكَانِ السِّتَّةِ: قَوْلُهُ تَعَالَى: (لَّيْسَ الْبِرَّ أَن تُوَلُّوا وُجُوهَكُمْ قِبَلَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ وَلَكِنَّ الْبِرَّ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ وَالْمَلآئِكَةِ وَالْكِتَابِ وَالنَّبِيِّينَ) [البقرة: 177].

ودليل القدر: قَوْلُهُ تَعَالَى: (إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَاهُ بِقَدَرٍ)[القمر: 49].

ذكر الشيخ رحمه الله أن دين الإسلام "ثلاث مراتب": الإسلام: وقد بينه، ثم قال المرتبة الثانية، وهي الإيمان:

والإيمان في اللغة: التصديق الجازم والإقرار المتبوع بالخضوع والانقياد.

الإيمان شرعا: قول وعمل والمشهور عند علماء السنة:(الايمان قول وعمل)، وقد نقل الإجماع على ذلك أكثر من واحد من أهل العلم، منهم أهل الحجاز، ومكة، والمدينة، والكوفة، والبصرة، وواسط، وبغداد، والشام.[1]

الايمان: شرعا اعتقاد بالقلب وقول باللسان وعمل بالجوارح.

قال: الامام الحافظ المقرئ عالم الاندلس أبو عمرو عثمان القرطبي الذي يعرف بابن الصيرفي رحمه الله (371هـ..444هـ).

وبعد :فالإيمان قول وعمل ❁❁❁ ونية عن ذاك ليس ينفصل

هو على ثلاثة مبني ❁❁❁ خلاف ما يقوله المرجي

فتارة يزيد بالتشمير ❁❁❁ وتارة ينقص بالتقصير

[1] شرح كتاب شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة لابي القاسم اللالكائي ت:(418هـ) (م1/776)

وقـــــال: أبو زكريا جمال الدين يحي بن يوسف بن منصور الصرصري البغدادي الحنبلي رَحِمَهُ اللَّهُ (588هـ_656هـ)

واعتقد الايمان قولا مسددا❁❁❁ وأعمال صدق في الصحائف تودع.

يزيد بفعل الخير من كل مؤمن❁❁❁ وينقص بالعصيان فهو ممزع

وايماننا بضع وسبعون شعبة❁❁❁حديث صحيح النقل لا يتضعضع.

وقال: أبو محمد عبد الله بن محمد الاندلسي القحطاني رَحِمَهُ اللَّهُ :

ايماننا بالله من ثلاثة❁❁❁عمل وقول واعتقاد جنان

ويزيد بالتقوى وينقص بالردى❁❁❁وكلاهما في القلب يعتلجان.

قال الشيخ حافظ بن أحمد الحكمي رَحِمَهُ اللَّهُ:

إِيمَانُنَا يَزِيدُ بِالطَّاعَاتِ ❁❁❁وَنَقْصُهُ يَكُونُ بِالزَّلَّاتِ

وَأَهْلُهُ فِيهِ عَلَى تَفَاضُلِ ❁❁❁هَلْ أَنْتَ كَالْمَلَكِ أَوْ كَالرُّسُلِ

وَالْفَاسِقُ الْمِلِّيُّ ذُو الْعِصْيَانِ ❁❁❁لَمْ يُفْ عَنْهُ مُطْلَقُ الْإِيمَانِ

لَكِنْ بِقَدْرِ الْفِسْقِ وَالْمَعْلِي ❁❁❁إِيمَانُهُ مَازَالَ فِي انْتِقَاصِ

وَلَا نَقُولُ إِنَّهُ فِي النَّارِ ❁❁❁مُخَلَّدٌ،لَمْ أَمْرُهُ لِلْبَارِي

تحت مشيئة الْإِلَهِ النَّافِذَهْ ❁❁❁إِنْ شَاءَ عَفَا عَنْهُ وَإِنْ شَاءَ آخَذَهْ

بِقَدْرِ ذَنْبِهِ،وَلَمْ الْجِنَانِ ❁❁❁يَخْرُجْ إِنْ مَاتَ عَلَى الْإِيمَانِ

قال الإمام أبو بكر بن داود السجستاني(316هـ) رَحِمَهُ اللَّهُ: في حائيته.

وقل :إنما الإيمان قول ونية ❁❁❁وفعل على قول النبي مصرح

وينقص طوراً بالمعاصي وتارة ❁❁❁بطاعته ينمي وفي الوزن يرجح

ودع عنك آراء الرجال وقولهم❁❁❁فقول رسول الله أزكى وأشرح

ولا تكُ من قوم تلهو بدينهم ❁❁❁ فتطعن في أهل الحديث وتقدح

إذا ما اعتقدت الدهر يا صاح هذه ❁❁❁ فأنت على خير تبيت وتصبح

قال ابن تيمية رحمه الله: والمأثور عن الصحابة وأئمة التابعين وجمهور السلف وهو مذهب أهل الحديث وهو المنسوب إلى أهل السنة أن الإيمان قول وعمل، يزيد وينقص، يزيد بالطاعة وينقص بالمعصية[1]

وقال رحمه الله أيضا: أجمع السلف أن الإيمان قول وعمل يزيد وينقص[2] انتهى.

والمرجئة وهم كل من خالف عقيدة أهل السنة والجماعة في مُسمّى الايمان وهم أربعة طوائف:

1. أولا: **غلاة المرجئة** وهم هؤلاء الجهمية يقولون الايمان مجرد المعرفة والكفر: جهل الرب بالقلب. والجهمية نسبة إلى جهم بن صفوان السمرقندي الراسبي (128هـ) الذي نشر مذهب الجهمية، وتعريفهم هذا أفسد ما قيل في تعريف الإيمان وأبطله وأشده كفراً وضلالاً وبعداً عن الحق. وألزمهم العلماء بناء على هذا التعريف أن إبليس مؤمن؛ لأنه عرف ربه بقلبه، قال الله عنه: ﴿قَالَ رَبِّ فَأَنْظِرْنِي إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُونَ﴾ الحجر:٣٦ .

قال أبو محمد الحسن بن على بن خلف البربهاري رحمه الله (349هـ): من قال الأيمان قول وعمل يزيد وينقص فقد خرج من الارجاء كله[3] انتهى

2. ثانيا: **الاشاعرة**[4] يقولون الايمان هو التصديق في القلب فقط ولو لم ينطق باللسان.

---

[1] مجموع الفتاوى(505 / 7) "

2 مجموع الفتاوى (672 / 7)

[3] شرح السنة للبربهاري (ص123)

[4] هم فرقة اسلامية تنتسب الى الامام ابي حسن الاشعري (324هـ) في مرحلته الثانية التي خرج فيها من الاعتزال. منهجهم اعتمد طريقة الكلام في الاستدلال على مسائل الدين. وهم يقدمون في ذلك البراهين العقلية على الادلة النقلية. لا يأخذون بحديث الآحاد في العقيدة. ويؤولون الصفات الخبرية الالهية. وينفون الحكمة والتعليل في أفعال الله تعالى. وغيرها مما خالفوا فيه مذهب أهل السنة والجماعة ومثاله: تفسير لا إله في كلمة التوحيد بمعنى (الخالق والمخترع) وكذا تأويل هذه صفة الاستواء والمجيء والرؤية ونحوها. والحق أنهم لا يدخلون في اهل السنة وجماعة أهل السنة والجماعة عند كثير من العلماء

3. ثالثا: **الكرامية**[1] يقولون الايمان هو النطق باللسان ولو لم يعتقد بقلبه. وهذا يلي مذهب الجهم في الفساد، يقولون: إن الإنسان إذا نطق بلسانه فهو مؤمن كامل الإيمان، وإن كان مكذباً بقلبه فهو مخلد في النار، فيجمعون بين الأمرين المتناقضين، فيقولون: إذا نطق المنافق بالشهادتين فهو مؤمن كامل الإيمان ومع ذلك يخلد في النار. وعللوا ذلك فقالوا: مؤمن كامل الإيمان؛ لأنه نطق بلسانه، ويخلد في النار؛ لأنه كذب بقلبه.[2]
4. رابعا: **مرجئة الفقهاء** يقولون الايمان قول باللسان واعتقاد بالقلب ولا تدخل الاعمال في حقيقة الايمان مع الإقرار بأن تارك الواجب يعرض للذم والعقاب.

قال الشافعي رحمه الله: ﴿كان الإجماع من الصحابة والتابعين ومن بعدهم ومن أدركناهم يقولون: الإيمان قول وعمل ونية لا يجزئ واحد من الثلاثة إلا بالآخر، وقد نقله عنه شيخ الإسلام في كتابه الإيمان﴾.

وهذا التصديق: ﴿إذا لم يكن معه طاعة لأمره، لا باطناً ولا ظاهراً، ولا محبة لله، ولا تعظيم له، لم يكن ذلك إيماناً﴾[3].

الموقع الرسمي للشيخ: أبي قتيبة عمر بن محمد الطاهر شابي

قال ابن تيمية رحمه الله: ﴿فمجرد علم القلب بالحق ان لم يقترن به عمل القلب بموجب مثل محبة القلب له واتباع القلب له لم ينفع صاحبه﴾[4]

SUBSCRIBE LIKE SHARE

وقد قرر العلماء رحمهم الله أن:

1. هذا التصديق مع عمل القلب هو أصل من أصول الايمان وأنه أصل للقول الظاهر.
2. كما أن عمل القلب أصل لعمل الجوارح.
3. قول اللسان: هو القول الظاهر الذي لا نجاة للعبد الا به وهو التكلم بكلمة الاسلام وغيرها من التسبيح والتكبير والتهليل والذكر فمن لم يتكلم بالشهادتين مع القدرة فهو كافر ظاهرا ولو أقر بقلبه.
4. عمل القلب: النية والإرادة والخضوع لله ولأمره والرهبة والرغبة وغيرها من الأعمال القلبية المتضمنة للذل والخضوع والمحبة والتعظيم.

---

[1] هي فرقة اسلامية كلامية من فرق المرجئة، تنتسب الى محمد بن كرام السجستاني(655هـ) وتخالف اهل السنة الجماعة مسائل عقدية كثيرة منها مفهوم الايمان حيث جمعوا بين قول المرجئة والجهمية وتوافقوا في ذلك فالإيمان عندهم يقتصر على قول اللسان دون معرفة القلب ويقولون بالتجسيم ولا يعدون من أهل السنة والجماعة.

[2] فانتبه الى هذا الخلط العظيم واحمد الله الكريم أن كنت من أهل السنة والجماعة سلفي بإذن الله جل وعلا

[3] مجموع الفتاوى 534/7

[4] مجموع الفتاوى 271/15

قال البخاري رحمه الله: لقيت ألف رجل من أهل العلم فما رأيت أحدا منهم يختلف إن الإيمان قول وعمل [1] والمراد:

بالقول:

- قول القلب: فهو الاعتقاد.
- وقول اللسان: فهو النطق والإقرار والبيان والإظهار.

العمل:

- عمل القلب: ما يقوم به من عبادات قلبية مثل:(الخوف، والرجاء، والخشية..... وغيرها)
- وعمل الجوارح: (كالصلاة، والزكاة، والحج، والجهاد ..... وغيرها)

وقال بعضهم الإيمان خمس نونات :(اعتقاد بالجنان، ونطق باللسان، وعمل والأركان، يزيد بطاعة الرحمن، وينقص بطاعة الشيطان).

قال العلماء رحمهم الله أن هذا الإيمان الشرعي هو الذي حصل به التصديق الجازم والإقرار المتبوع بالخضوع والانقياد فهو من الأسماء التي نقلت من اللغة إلى الشرع وصارت حقيقتها الشرعية ما جرى على لسان الشرع؛ والإيمان هو واحد من هذه الأسماء، والإيمان كثيرا ما يأتي في القرآن ويراد به المعنى اللغوي وكذا يأتي ويراد به المعنى الشرعي:

يرد الإيمان في القرآن بالمعنى اللغوي، **ويتعدى باللام:**

- كقول الله عز وجل: ﴿وَجَآءُوٓ أَبَاهُمۡ عِشَآءٗ يَبۡكُونَ ١٦ قَالُواْ يَٰٓأَبَانَآ إِنَّا ذَهَبۡنَا نَسۡتَبِقُ وَتَرَكۡنَا يُوسُفَ عِندَ مَتَٰعِنَا فَأَكَلَهُ ٱلذِّئۡبُۖ وَمَآ أَنتَ بِمُؤۡمِنٖ لَّنَا وَلَوۡ كُنَّا صَٰدِقِينَ ١٧﴾ يوسف ١٦-١٧.
- و قوله عز وجل: ﴿فَـَٔامَنَ لَهُۥ لُوطٞۘ وَقَالَ إِنِّي مُهَاجِرٌ إِلَىٰ رَبِّيٓۖ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡحَكِيمُ﴾ العنكبوت ٢٦، ونحو ذلك.

أما الإيمان الشرعي فإنه يأتي **ويتعدى بالباء:**

1 ذكره ابن حجر في الفتح وصححه (60/1)

كقول الله ﷻ: ﴿ءَامَنَ ٱلرَّسُولُ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيۡهِ مِن رَّبِّهِۦ وَٱلۡمُؤۡمِنُونَۚ كُلٌّ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَكُتُبِهِۦ وَرُسُلِهِۦ لَا نُفَرِّقُ بَيۡنَ أَحَدٖ مِّن رُّسُلِهِۦۚ وَقَالُواْ سَمِعۡنَا وَأَطَعۡنَاۖ غُفۡرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيۡكَ ٱلۡمَصِيرُ﴾ البقرة ٢٨٥.

وقوله ﷻ: ﴿فَإِنۡ ءَامَنُواْ بِمِثۡلِ مَآ ءَامَنتُم بِهِۦ فَقَدِ ٱهۡتَدَواْۖ وَّإِن تَوَلَّوۡاْ فَإِنَّمَا هُمۡ فِي شِقَاقٖۖ فَسَيَكۡفِيكَهُمُ ٱللَّهُۚ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡعَلِيمُ﴾ البقرة ١٣٧.

وقوله ﷻ: ﴿وَكَذَٰلِكَ أَنزَلۡنَآ إِلَيۡكَ ٱلۡكِتَٰبَۚ فَٱلَّذِينَ ءَاتَيۡنَٰهُمُ ٱلۡكِتَٰبَ يُؤۡمِنُونَ بِهِۦۖ وَمِنۡ هَٰٓؤُلَآءِ مَن يُؤۡمِنُ بِهِۦۚ وَمَا يَجۡحَدُ بِـَٔايَٰتِنَآ إِلَّا ٱلۡكَٰفِرُونَ ٤٧ وَمَا كُنتَ تَتۡلُواْ مِن قَبۡلِهِۦ مِن كِتَٰبٖ وَلَا تَخُطُّهُۥ بِيَمِينِكَۖ إِذٗا لَّٱرۡتَابَ ٱلۡمُبۡطِلُونَ ٤٨﴾ العنكبوت ٤٧-٤٨

وهذا الايمان الشرعي تارة يُراد به الاعتقادات الباطنة وهو الذي يناسب المرتبة الثانية وذلك إذا ذكر مقترنا بالإسلام، والإحسان وأما إذا أفرد فإنه يدخل فيه معنى الإسلام والإحسان.

قال الشيخ رحمه الله: وَهُوَ بِضْعٌ وَسَبْعُونَ شُعْبَةً، فَأَعْلاهَا قَوْلُ لا إله إلا اللهُ، وَأَدْنَاهَا إِمَاطَةُ الأَذَى عَنِ الطَّرِيقِ، وَالْحَيَاءُ شُعْبَةٌ مِنْ الإِيمَانِ. هذا الحديث رواه مسلم بالشك من طريق أبي هريرة بلفظ (بضع وستون أو بضع وسبعون) والبخاري بلفظ (بضع وستون).

أولا ورود الحديث برتبة الأعلى والأدنى: وذكر الشعب دليل على أن الإيمان ليس شيئا واحدا إنما هو شعب، وخصال، ودرجات متفاوتة فاضلة، ومتفاضلة، وهذا يدل على أن الإيمان يتبعض ويتجزأ.

الإيمان: مراد الشيخ الإيمان بالمعنى العام الذي يشمل الإسلام وزيادة.

بضع: البضع بكسر الباء اسم من أسماء العدد (من ٣ إلى ٩).

شعبة: هي الجزء أو القطعة من الشيء، أو بعض الشيء.

أعلاها لا إله الا الله: أعلى وأفضل هذه الشعب الإيمانية كلمة: لا إله الا الله.

وادناها اماطة الاذى عن الطريق: تنحية كل ما يؤذي الناس من طريقهم حسيا أو معنويا.

الحياء شعبة من الايمان: الحياء: صفة انفعالية تحدث عند الخجل لمنع المرء من فعل ما يشين المروءة والأدب.

مثل الحديث: الإيمان بالشجرة ذات الفروع والاغصان والشعب فيها الأعلى، والأدنى وما بين ذلك.

قول (لا اله الا الله): قول باللسان ولا شك أنه تابع لقول القلب وهو الاعتقاد بالجنان

- (واماطة الاذى عن الطريق): هو عمل الجوارح يدخل في مسمى الإيمان.
- (والحياء): هذا عمل القلب وهو أيضا يدخل في مسمى الإيمان.

إذن الإيمان الشرعي يشتمل على أربعة أمور:

1. قول بالقلب: وهو اعتقاده وإقراره.
2. قول باللسان: وهو النطق به والإقرار.
3. عمل القلب: وهو ما قام من عبودية فيه مثل:(الخشية والخوف والتوكل، ونحوها)
4. عمل الجوارح: ما كان من (صلاة وصيام وحج، وجهاد، ونحوها)

وقد يضعف الإيمان وينقص حتى يصل إلى درجة العدم.

وقد خالف أهل السنة والجماعة طوائف كثيرة في مسألة تعريف الإيمان:

- **الجهمية**: يقولون الإيمان هو المعرفة بالله ﷻ والكفر هو الجهل بالله ﷻ.
- **المعتزلة والخوارج**: وافقوا أهل السنة في التعريف، وخالفوهم في الحقيقة، وجعلوا العمل شرطا في صحة الإيمان لذلك أخرجوا فاعل الكبيرة من الاسلام بالكلية وكفروه.
- **الأشاعرة**: جمهورهم يقولون الايمان هو تصديق بالقلب فقط. وإن لم ينطق باللسان، وهو شيء واحد لا يتعدد ولا يتبعض ولا يزيد ولا ينقص.
- **الكرامية**: الإيمان قول باللسان وإن لم يعتقد بقلبه.
- **المرجئة الفقهاء**: يقولون الإيمان قول باللسان وتصديق بالقلب فقط والعمل ليس من مسماه.

الموقع الرسمي للشيخ: أبي قتيبة عمر بن محمد الطاهر شاشي
SUBSCRIBE LIKE SHARE

جدول موضح للفروق بينهم:

تعريفهم للإيمان	معرفة	قول	عمل	اعتقاد	يزيد	وينقص
أهل السنة والجماعة						
الجهمية						
المعتزلة	وافقوهم في التعريف، وجعلوا العمل شرطا في صحة الإيمان لذلك أخرجوا فاعل الكبيرة من الكلية وكفروه					
والخوارج	وافقوهم في التعريف، وجعلوا العمل شرطا في صحة الإيمان لذلك أخرجوا فاعل الكبيرة من الكلية وكفروه					
الأشاعرة						
الكرامية						
مرجئة الفقهاء						

يجب على المسلم أن يعتقد المعتقد الصحيح المأثور عن السلف والثابت بالدليل الصحيح ولا يلتفت إلى آراء الرجال وأهواء المبتدعة وانحراف الضالين المضلين، كما قيل:

ودع عنك آراء الرجال وقولهم ❁❁❁ فقول رسول الله أولى وأشرح

ولا تك من قوم تلهو بدينهم ❁❁❁ فتطعن في أهل الحديث وتقدح

إذا ما اعتقدت الدهر يا صاح هذه ❁❁❁ فأنت على خير تبيت وتصبح [1]

[1] المنظومة الحائية لابن أبي داوود السجستاني (316هـ)

قال المصنف (رحمه الله): وَأَرْكَانُهُ سِتَّةٌ: أَنْ تُؤْمِنَ بِاللهِ، وَمَلَائِكَتِهِ، وَكُتُبِهِ، وَرُسُلِهِ، وَالْيَوْمِ الْآخِرِ، وَتُؤْمِنَ بِالْقَدَرِ خَيْرِهِ وَشَرِّهِ، وَالدَّلِيلُ عَلَى هَذِهِ الْأَرْكَانِ السِّتَّةِ: قَوْلُهُ ﷻ: (لَّيْسَ الْبِرَّ أَن تُوَلُّوا وُجُوهَكُمْ قِبَلَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ وَلَكِنَّ الْبِرَّ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَالْمَلَائِكَةِ وَالْكِتَابِ وَالنَّبِيِّينَ) [البقرة: 177]. ودليل القدر: قَوْلُهُ ﷻ: (إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَاهُ بِقَدَرٍ) [القمر: 49].

- الركن: وهو الجزء المهم والأساس في البناء ويحمل غيره ويقوم عليه.
- والمعنى أي أصول الإيمان ستة؛ الإيمان بها على وجه الإجمال فرض عين والإيمان بها على وجه التفصيل فرض كفاية لكن من علم شيئا من ذلك التفصيل وجب عليه الإيمان به

- (ان تؤمن بالله): أي أن تؤمن بربوبيته، وبألوهيته، وبأسمائه وصفاته إيمانا جازما مبنيا على علم ويقين.
- (وملائكته): جمع مَلَكٍ وهو المُرسَلُ وأصله مألك من الألوكة وهي الرسالة ثم قلبت همزة وصل وخففت وقدمت اللام فقيل ملأك ثم خففت إلى ملك لكثرة الاستعمال وهم خلق من خلق الله خلقهم من نور وهم من عالم الغيب مرسلون رسالة خاصة على وجه التعظيم، موكلون بما وكلهم الله به من أعمال مختلفة، خلقهم لعبادته وتنفيذ أوامره في ملكه، عددهم لا يعلمه إلا الله؛ يجب الإيمان بهم على الإجمال، ويجب الإيمان على التفصيل بما ذكر لنا في الكتاب والسنة، ونؤمن بأوصافهم وأسمائهم وأعدادهم وما بُيّن من أعمالهم ووظائفهم. قال ﷻ ﴿۞ لَّيْسَ ٱلْبِرَّ أَن تُوَلُّوا۟ وُجُوهَكُمْ قِبَلَ ٱلْمَشْرِقِ وَٱلْمَغْرِبِ وَلَٰكِنَّ ٱلْبِرَّ مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْـَٔاخِرِ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةِ وَٱلْكِتَٰبِ وَٱلنَّبِيِّۦنَ وَءَاتَى ٱلْمَالَ عَلَىٰ حُبِّهِۦ ذَوِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْيَتَٰمَىٰ وَٱلْمَسَٰكِينَ وَٱبْنَ ٱلسَّبِيلِ وَٱلسَّآئِلِينَ وَفِى ٱلرِّقَابِ وَأَقَامَ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَى ٱلزَّكَوٰةَ وَٱلْمُوفُونَ بِعَهْدِهِمْ إِذَا عَٰهَدُوا۟ ۖ وَٱلصَّٰبِرِينَ فِى ٱلْبَأْسَآءِ وَٱلضَّرَّآءِ وَحِينَ ٱلْبَأْسِ ۗ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ صَدَقُوا۟ ۖ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُتَّقُونَ﴾ البقرة ١٧٧
- (وكتبه): أي الإيمان بالكتب السماوية المنزلة من الله على بعض رسله وكذا الصحف[1]

[1] سؤل الشيخ بن باز رحمه الله تعالى: المعروف أن الكتب السماوية المنزلة هي أربعة: التوراة، الزبور، الإنجيل، القرآن. فماذا عن صحف إبراهيم وموسى التي جاء ذكرها في القرآن الكريم الآيتان رقم 18 و19 من سورة الأعلى؟ أرجو إعطائي نبذة وتعريفًا عن هذه الصحف المطهرة.
فأجاب: قد أخبر الله سبحانه أنه أرسل رسله بالبينات والزبر، كما قال : وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ إِلا رِجَالًا نُوحِي إِلَيْهِمْ فَاسْأَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِنْ كُنْتُمْ لا تَعْلَمُونَ * بِالْبَيِّنَاتِ وَالزُّبُرِ [النحل: 43 - 44] والزبر هي الكتب. وقال سبحانه في سورة الحديد: لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بِالْبَيِّنَاتِ وَأَنْزَلْنَا مَعَهُمُ الْكِتَابَ وَالْمِيزَانَ لِيَقُومَ النَّاسُ بِالْقِسْطِ الآية [الحديد: 25] ونص سبحانه على صحف إبراهيم وموسى في سورة: سبح اسم ربك الأعلى، وبين سبحانه من هذه الكتب والصحف التوراة المنزلة على موسى، والزبور المنزل على داود، والإنجيل المنزل على عيسى، والقرآن المنزل على محمد ﷺ.
وليس للعباد من العلم إلا ما علمهم الله إياه في كتابه أو على لسان رسوله ﷺ. والله ولي التوفيق

وفيها الهدى والحق والخير والأمر والنهي وما يصلح العباد وتستقيم به أحوالهم ونؤمن أن القرآن قد نسخ جميع هذه الكتب السابقة، وأنه حجة الله الباقية على الناس الى يوم القيامة، مع الإشارة إلى أن أكثرها قد بُدل وحُرف من قبل أهل الكتاب بسبب أهوائهم ورغباتهم قال الله ﷻ ﴿مِّنَ ٱلَّذِينَ هَادُواْ يُحَرِّفُونَ ٱلْكَلِمَ عَن مَّوَاضِعِهِۦ وَيَقُولُونَ سَمِعْنَا وَعَصَيْنَا وَٱسْمَعْ غَيْرَ مُسْمَعٍ وَرَٰعِنَا لَيًّۢا بِأَلْسِنَتِهِمْ وَطَعْنًا فِى ٱلدِّينِ وَلَوْ أَنَّهُمْ قَالُواْ سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا وَٱسْمَعْ وَٱنظُرْنَا لَكَانَ خَيْرًا لَّهُمْ وَأَقْوَمَ وَلَٰكِن لَّعَنَهُمُ ٱللَّهُ بِكُفْرِهِمْ فَلَا يُؤْمِنُونَ إِلَّا قَلِيلًا﴾ النساء ٤٦، كذلك لا يجوز العمل بأي حكم من أحكامها إلا ما صح منها وأقره القرآن.

- (ورسله): جمع رسول أي مبعوث.
  - وشرعا: هو من بعثه الله إلى قوم غير مؤمنين وأوحيَ إليه بما لم يكن في شريعة من قبله. وأما النبي فهو من أوحي الله إليه أن يدعو إلى شريعة من كان قبله دون أن ينزل عليه كتابًا.
  - والقدر الواجب اللازم المجزئ من الإيمان بالرسل هو:
  - الاعتقاد الجازم أن الله أرسل إلى خلقه ورسلا منهم ليأمروهم بعبادة الله وحده وعدم الإشراك به.
  - وأن هؤلاء الرسل موحى إليهم من الله وأنهم صادقون مصدقون فيما أخبروا به عن الله
  - وأن أولهم نوح عليه السلام
  - وأن خاتمهم محمد (ﷺ).
  - وأن عددهم لا يعلمه إلا الله. منهم من أعلمنا الله بأسمائهم في كتبه وبقيتهم أخفى الله عنا أسمائهم لحكمة هو يعلمها سبحانه.

وتعالى قال الله ﷻ ﴿ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾ النور ١٩

و قال الله ﷻ ﴿وَرُسُلًا قَدْ قَصَصْنَٰهُمْ عَلَيْكَ مِن قَبْلُ وَرُسُلًا لَّمْ نَقْصُصْهُمْ عَلَيْكَ ۚ وَكَلَّمَ ٱللَّهُ مُوسَىٰ تَكْلِيمًا﴾ النساء ١٦٤

- ونؤمن بما سمى الله لنا في القرآن (خمسة وعشرون):فَقَدْ ذَكَرَ اللهُ تعالى أَسْمَاءَ ثَمَانِيَةَ عَشَرَ نَبِيًّا مِنَ الأَنْبِيَاءِ وَالمُرْسَلِينَ فِي قَوْلِهِ ﷻ فِي سُورَةِ الأَنْعَامِ: ﴿وَتِلْكَ حُجَّتُنَا آتَيْنَاهَا إِبْرَاهِيمَ عَلَى قَوْمِهِ نَرْفَعُ دَرَجَاتٍ مَنْ نَشَاءُ إِنَّ رَبَّكَ حَكِيمٌ عَلِيمٌ * وَوَهَبْنَا لَهُ إِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ كُلًّا هَدَيْنَا وَنُوحًا هَدَيْنَا مِنْ قَبْلُ وَمِنْ ذُرِّيَّتِهِ دَاوُودَ وَسُلَيْمَانَ

وَأَيُّوبَ وَيُوسُفَ وَمُوسَى وَهَارُونَ وَكَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ * وَزَكَرِيَّا وَيَحْيَى وَعِيسَى وَإِلْيَاسَ كُلٌّ مِنَ الصَّالِحِينَ * وَإِسْمَاعِيلَ وَالْيَسَعَ وَيُونُسَ وَلُوطاً وَكُلًّا فَضَّلْنَا عَلَى الْعَالَمِينَ﴾.

وَالسَّبْعَةُ البَاقُونَ هُمْ:

19. سَيِّدُنَا آدَمُ عَلَيْهِ السَّلَامُ.

20. سَيِّدُنَا إِدْرِيسَ عَلَيْهِ السَّلَامُ.

21. سَيِّدُنَا هُودٌ عَلَيْهِ السَّلَامُ.

22. سَيِّدُنَا صَالِحٌ عَلَيْهِ السَّلَامُ.

23. سَيِّدُنَا شُعَيْبٌ عَلَيْهِ السَّلَامُ.

24. سَيِّدُنَا ذُو الكِفْلِ عَلَيْهِ السَّلَامُ.

25. وَخَاتَمُهُمْ سَيِّدُنَا مُحَمَّدٌ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ.

وَقَدْ نُظِمَتْ أَسْمَاؤُهُمْ بِقَوْلِ القَائِلِ:

حَتْمٌ عَلَى كُلِّ ذِي التَّكْلِيفِ مَعْرِفَةٌ *** لِأَنْبِيَاءٍ عَلَى التَّفْضِيلِ قَدْ عُلِمُوا

فِي تِلْكَ حُجَّتُنَا مِنْهُمْ ثَمَانِيَةٌ *** مِنْ بَعْدِ عَشْرٍ وَيَبْقَى سَبْعَةٌ وَهُمُو

إِدْرِيسُ هُودٌ شُعَيْبٌ صَالِحٌ وَكَذَا *** ذُو الْكِفْلِ آدَمَ بِالْمُخْتَارِ قَدْ خُتِمُوا

- (واليوم الاخر): يوم القيامة وسمي بذلك لأنه لا يوم بعده. والقدر الواجب المجزئ أن يؤمن العبد بأن الله جعل يوما يحاسب فيه الخلائق كلهم بعد أن يعيدهم ويبعثهم من قبورهم، ويشمل ثلاثة أمور هي:

1. الإيمان بالبعث.
2. الإيمان بالحساب والجزاء.
3. الإيمان بالجنة والنار وما فيهما من نعيم وعذاب.

ثم بعد ذلك يتبع الإيمان التفصيلي بكل ما علم به بدليله.

- (والقدر خيره وشره): القدر يطلق ويراد به التقدير السابق لما في علم الله اي تقدير الله للأشياء وفق ما سبق به علمه واقتضته حكمة ويطلق ويراد به القضاء وهو المقدور الذي قضاه الله وقدره على النحو الذي علمه وهو مراد الشيخ رَحِمَهُ اللهُ في كلامه.

والمطلوب أن نؤمن بالقدر خيره وشره أي بالمقدور خيره وشره، أما القدر الذي هو تقدير الله كله خير. وقد يكون بالنسبة إلى العبد فيه شيء من الشر، وأما الله ففعله كله خير، ولا ينسب الشر إليه إلا من جهة الخلق والحكمة؛ ومراتب الإيمان بالقدر أربع هي:

1. الإيمان بالعلم ومضمونه أن الله بكل شيء عليم.
2. الإيمان بالكتابة، وأن مقادير الأشياء كلها مكتوبة في اللوح المحفوظ
3. الإيمان بعموم المشيئة، ما من شيء في السماوات والأرض الا كائن بإرادة الله ومشيئته
4. الإيمان بعموم الخلق، ما من شيء في السماوات ولا في الأرض الا والله خالقه ومدبره ومالكه فما ثم الا خالق ومخلوق وكل ما سوى الله مخلوق

وقد نظمها أحدهم: " علم كتابة مولانا مشيئته *** وخلقه وهو إيجاد وتكوين"

وأختلف أهل العلم في الفرق بين القضاء والقدر على ثلاثة أقوال وهي:

أن القضاء والقدر مترادفان، سئل الشيخ ابن باز رحمه الله: ما الفرق بين القضاء والقدر؟

فأجاب " القضاء والقدر، هو شيء واحد، الشيء الذي قضاه الله سابقاً، وقدره سابقاً، يقال لهذا القضاء، ويقال له القدر"[1]

وذهب بعضهم إلى أن القضاء سابق على القدر.

فالقضاء هو ما علمه الله وحكم به في الأزل، والقدر هو وجود المخلوقات موافقة لهذا العلم والحكم.

قال الحافظ ابن حجر رحمه الله: " قال العلماء: القضاء هو الحكم الكلي الإجمالي في الأزل، والقدر جزئيات ذلك الحكم وتفاصيله " انتهى.

وقال في موضع آخر (149/11): "القضاء الحكم بالكليات على سبيل الإجمال في الأزل، والقدر الحكم بوقوع الجزئيات التي لتلك الكليات على سبيل التفصيل" انتهى.

والقول الثالث: هو أنهما إذا اجتمعا تفرقا وإذا تفرقا اجتمعا. قال الشيخ ابن عثيمين رحمه الله:

"القدر في اللغة؛ بمعنى: التقدير؛ قال تعالى: (إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَاهُ بِقَدَرٍ) [القمر: 49]، وقال تعالى: (فَقَدَرْنَا فَنِعْمَ

[1] بحثت عن القائل ونسبته اليه لتمام الفائدة ولتحصيل البركة.

الْقَادِرُونَ) [المرسلات: 23]. – وأما القضاء؛ فهو في اللغة: الحكم.

ولهذا نقول: إن القضاء والقدر متباينان إن اجتمعا، ومترادفان إن تفرقا؛ على حد قول العلماء: هما كلمتان: إن اجتمعتا افترقتا، وإن افترقتا اجتمعتا. فإذا قيل: هذا قدر الله؛ فهو شامل للقضاء، أما إذا ذكرا جميعًا؛ فلكل واحد منهما معنى. فالتقدير: هو ما قدره الله تعالى في الأزل أن يكون في خلقه. وأما القضاء؛ فهو ما قضى به الله سبحانه وتعالى في خلقه من إيجاد أو إعدام أو تغيير، وعلى هذا يكون التقدير سابقًا.

قال الشيخ رحمه الله: الْمَرْتَبَةُ الثَّالِثَةُ: الإِحْسَانُ

رُكْنٌ وَاحِدٌ، وهو: (أَنْ تَعْبُدَ اللهَ كَأَنَّكَ تَرَاهُ، فَإِن لَمْ تَكُنْ تَرَاهُ فَإِنَّهُ يَرَاكَ).

وَالدَّلِيلُ قَوْلُهُ تَعَالَى: (إِنَّ اللَّهَ مَعَ الَّذِينَ اتَّقَواْ وَّالَّذِينَ هُم مُّحْسِنُونَ) [النحل: 128].

وقَوْلُهُ تَعَالَى: (وَتَوَكَّلْ عَلَى الْعَزِيزِ الرَّحِيمِ * الَّذِي يَرَاكَ حِينَ تَقُومُ * وَتَقَلُّبَكَ فِي السَّاجِدِينَ * إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ) [الشعراء: 217 ـ 220].

وقَوْلُهُ تَعَالَى: (وَمَا تَكُونُ فِي شَأْنٍ وَمَا تَتْلُو مِنْهُ مِن قُرْآنٍ وَلَا تَعْمَلُونَ مِنْ عَمَلٍ إِلَّا كُنَّا عَلَيْكُمْ شُهُودًا إِذْ تُفِيضُونَ فِيهِ) [يونس: 61].

وَالدَّلِيلُ مِنَ السُّنَّةِ: حَدِيثُ جِبْرِيلَ الْمَشْهُورُ: عَنْ عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ ـ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ ـ قَالَ: بَيْنَمَا نَحْنُ جُلُوسٌ عِنْدَ النَّبِيِّ ـ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ـ إِذْ طَلَعَ عَلَيْنَا رَجُلٌ، شَدِيدُ بَيَاضِ الثِّيَابِ، شَدِيدُ سَوَادِ الشَّعْرِ، لَا يُرَى عَلَيْهِ أَثَرُ السَّفَرِ، وَلَا يَعْرِفُهُ مِنَّا أَحَدٌ، فَجَلَسَ إِلَى النَّبِيِّ ـ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ـ فَأَسْنَدَ رُكْبَتَيْهِ إِلَى رُكْبَتَيْهِ، وَوَضَعَ كَفَّيْهِ عَلَى فَخِذَيْهِ، وَقَالَ: يَا مُحَمَّدُ أَخْبِرْنِي عَنِ الإِسْلَامِ فَقَالَ: (أَنْ تَشْهَدَ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ وَأَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللهِ، وَتُقِيمَ الصَّلَاةَ، وَتُؤْتِيَ الزَّكَاةَ، وَتَصُومَ رَمَضَانَ، وَتَحُجَّ الْبَيْتَ إِنِ اسْتَطَعْتَ إِلَيْهِ سَبِيلًا). قَالَ: صَدَقْتَ. فَعَجِبْنَا لَهُ يَسْأَلُهُ وَيُصَدِّقُهُ. قَالَ: أَخْبِرْنِي عَنِ الإِيمَانِ. قَالَ:(أَنْ تُؤْمِنَ بِاللهِ، وَمَلَائِكَتِهِ، وَكُتُبِهِ، وَرُسُلِهِ، وَالْيَوْمِ الْآخِرِ، وَتُؤْمِنَ بِالْقَدَرِ خَيْرِهِ وَشَرِّهِ). قَالَ: صَدَقْتَ. قَالَ: أَخْبِرْنِي عَنِ الإِحْسَانِ.

قَالَ: (أَنْ تَعْبُدَ اللهَ كَأَنَّكَ تَرَاهُ، فَإِنْ لَمْ تَكُنْ تَرَاهُ فَإِنَّهُ يَرَاكَ).

قَالَ: أَخْبِرْنِي عَنِ السَّاعَةِ. قَالَ: (مَا الْمَسْؤُولُ عَنْهَا بِأَعْلَمَ مِنَ السَّائِلِ).

قَالَ: فَأَخْبِرْنِي عَنْ أَمَارَاتِهَا. قَالَ: (أَنْ تَلِدَ الْأَمَةُ رَبَّتَهَا، وَأَنْ تَرَى الْحُفَاةَ الْعُرَاةَ الْعَالَةَ رِعَاءَ الشَّاءِ يَتَطَاوَلُونَ فِي الْبُنْيَانِ). قَالَ: فَمَضَى، فَلَبِثْنَا مَلِيًّا،

فَقَالَ: (يَا عُمَرُ أَتَدْرُونَ مَنِ السَّائِلُ؟). قُلْنَا: اللهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ،

قَالَ: (هَذَا جِبْرِيلُ أَتَاكُمْ يُعَلِّمُكُمْ أَمْرَ دِينِكُمْ).

❁ **الاحسان:** ضده الإساءة، من أَحْسَنَ يُحْسِنُ إِحْسَانًا أي جاء بفعل حسن.

❁ قال الله ﷻ : ﴿بَلَىٰ مَنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُۥ لِلَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ فَلَهُۥٓ أَجْرُهُۥ عِندَ رَبِّهِۦ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ البقرة ١١٢.

❁ وقد يكون الاحسان في القول أيضا قال الله ﷻ : ﴿وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَٰقَ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ لَا تَعْبُدُونَ إِلَّا ٱللَّهَ وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَانًا وَذِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْيَتَٰمَىٰ وَٱلْمَسَٰكِينِ وَقُولُوا۟ لِلنَّاسِ حُسْنًا وَأَقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُوا۟ ٱلزَّكَوٰةَ ثُمَّ تَوَلَّيْتُمْ إِلَّا قَلِيلًا مِّنكُمْ وَأَنتُم مُّعْرِضُونَ﴾ البقرة ٨٣.

❁ وقال الله ﷻ : ﴿وَقُل لِّعِبَادِى يَقُولُوا۟ ٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ ۚ إِنَّ ٱلشَّيْطَٰنَ يَنزَغُ بَيْنَهُمْ ۚ إِنَّ ٱلشَّيْطَٰنَ كَانَ لِلْإِنسَٰنِ عَدُوًّا مُّبِينًا﴾ الإسراء ٥٣.

❁ **والاحسان نوعان:**

- **احسان العبد في عبادته لربه** ﷻ: وذلك من خلال اتيانها على الصفة المطلوبة المرضية على أكمل الوجوه وأحسنها، خالية من النقص والخلل وهذا النوع هو قصد المصنف رحمه الله في كلامه عند شرحه للمرتبة الثالثة وللإحسان.
- **احسان العبد الى الخلق على مختلف درجاتهم ومقاماتهم قربا وبعدا منه**: وتحقيق ذلك بذل المعروف والخير والنفع الى كل من له صلة اجتماعية به، قربت أو بعدت وفيها يتفاوت مقدار الاحسان لهؤلاء، المحسن إليهم بحسب أهمية منزلتهم ومكانتهم لدى المحسن وفق قاعدة **الاقرب فالأقرب والأهم فالمهم**، فيكون في طليعة هؤلاء الوالدان الكريمان. ثم من بعدهم من يليهم. قال ربي ﷻ : ﴿وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوٓا۟ إِلَّآ إِيَّاهُ وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَانًا ۚ إِمَّا يَبْلُغَنَّ عِندَكَ ٱلْكِبَرَ أَحَدُهُمَآ أَوْ كِلَاهُمَا فَلَا تَقُل لَّهُمَآ أُفٍّ وَلَا تَنْهَرْهُمَا وَقُل لَّهُمَا قَوْلًا كَرِيمًا﴾ الإسراء ٢٣، ولذلك يعظم حق المحسن إليه بسبب موقعه وحقه ونفعه. وذلك بحسب ايمان المحسن وإخلاصه. والسبب الداعي الى هذا الاحسان.

فقول المصنف رحمه الله: الإِحْسَانُ رُكْنٌ وَاحِدٌ، وهو: (أَنْ تَعْبُدَ اللهَ كَأَنَّكَ تَرَاهُ، فَإِن لَمْ تَكُنْ تَرَاهُ فَإِنَّهُ يَرَاكَ). الظاهر أن الشيخ رحمه الله جعل الاحسان ركنا واحدا كما رآه. وقد عدّ كثير من أهل العلم ركن الاحسان على مقامين متمايزين متكاملين سمو المقام الأول: **مقام المشاهدة** وسمو الثاني: **مقام المراقبة**.

- **مقام المشاهدة**: وهو المعنى المتضمن في قول المصنف رحمه الله في تعريف الاحسان :**أَنْ تَعْبُدَ اللهَ كَأَنَّكَ تَرَاهُ** ويبدو أنه مقتبس من حديث رسول الله ﷺ المشهور. بحديث جبريل عليه السلام عندما سأل النبي ﷺ عن الاحسان. فأجاب رسول الله ﷺ ﴿أن تعبد الله كأنك تراه﴾.
- **وتحقيق هذا المقام**: يحصل عند
  - ممارسة العبد لعبادة ربه ﷻ.
  - وإتقان طاعته.
  - وذلك على مقتضى مشاهدة العبد لربه ﷻ بقلبه.
  - من خلال قوة ايمانه، ونفاذ بصيرته واستشعار قربه.
  - فيصير الغيب عنده كالعيان، فيجتهد في اخلاص عبادته للديان. يرجو منه العفو والغفران ويأمن منه النجاة من النيران والدخول الى الجنان بصحبة أهل الايمان.
- **والمشاهدة المقصودة هنا في كلامنا**: هي مشاهدة الصفات الإلهية، وما تضمنته من معان وآثار. لا مشاهدة الذات كما يزعم أهل الزيغ والانحراف والضلالة، من أصحاب الفرق والطوائف التي ضلت طريق السلف الصالح في فهم هذه المسألة وغيرها من مسائل الاعتقاد الحق كالصوفية والطرقية والخرافية ونحوهم.
- فان العبد كلما عظم علمه وكمل يقينه **بشهود آثار صفات الله ﷻ المثلى. ومعاني اسمائه الحسنى:**
  - زاد استشعاره بمراقبة ربه ﷻ له والنظر أحواله كلها باطنها وظاهرها.
  - ويسمع أقواله كلها سرها وعلانيتها وما خفي منها.
  - وبذلك يزداد العبد همة ونشاطا في احسان عبادته لربه ﷻ أينما حل وأينما ارتحل، وعلى أي حال كان.
- ويتفاوت أصحاب هذا المقام بتفاوت:
  - درجات إحسانهم.
  - وإتقانهم لعبادة ربهم من جهة كمال الايمان، وقوته.
  - ونفوذ البصيرة.
  - وتمام اليقين في الإحسان.

- فقد جاء في حديث ابن عمر رضي الله عنهما الذي رواه الامام النسائي رحمه الله في الكبرى ﴿كتاب الرقائق﴾ كما في ﴿التحفة﴾ برقم (481/5)، وأخرجه أيضا أبو نعيم رحمه الله في ﴿الحلية﴾ برقم (115/6).وإسناده صحيح. قال ابن عمر رضي الله عنهما. أخذ رسول الله ﷺ ببعض جسدي. فقال: اعْبُدِ اللهَ كأنَّكَ تَراه، وكُنْ في الدُّنيا كأنَّكَ غَريبٌ، أو عابِرُ سَبيلٍ.

- وخرج الطبراني في حديث أنس رضي الله عنه أن رجلا قال يا رسول الله ﷺ. حدثني بحديث واجعله موجزا فقال ﷺ: صَلِّ صلاةَ مودِّعٍ كأنَّك تراهُ فإن كنتَ لا تراهُ فإنَّهُ يراكَ اخرجه الطبراني في الاوسط كما في المجمع برقم (229/10).

وهو حديث ابن عمر رضي الله عنهما. لا من حديث أنس رضي الله عنه كما قال الهيثمي رحمه الله وغيره. وقال الهيثمي رحمه الله وفيه من لم اعرفهم.

- فمقام المشاهدة: يعد لب الاحسان وجوهره وهو أعلى المقامات وأسمى الدرجات في ركن الاحسان لا يناله إلا:
  - من أخلص كُلَّه لله طاعةً واستجابةً واستسلامًا على مستوى مخبره ومظهره وقاله وحاله
  - وجعل همه الله جل جلاله ومنتهى أمله رضاه سبحانه وتعالى
  - راجيًا صفحه وعفوه
  - طامعا في رحمته ومغفرته
  - آملا في دخول جنته والتمتع بنعمها الخالد المقيم.
  - وذلك هو دأب الكُمّلِ من عباده الخُلَّص من خلقه وهم الانبياء والرسل عليهم الصلاة والسلام ثم من يلوهم من أهل الجد والمقاربة والتسديد ومحاولة بلوغ كمال الأمر وتمامه.

- قال ربي جل جلاله: ﴿إِنَّكُمْ لَذَآئِقُواْ ٱلْعَذَابِ ٱلْأَلِيمِ ٣٨ وَمَا تُجْزَوْنَ إِلَّا مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ٣٩ إِلَّا عِبَادَ ٱللَّهِ ٱلْمُخْلَصِينَ ٤٠ أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمْ رِزْقٌ مَّعْلُومٌ ٤١ فَوَٰكِهُ وَهُم مُّكْرَمُونَ ٤٢ فِى جَنَّٰتِ ٱلنَّعِيمِ ٤٣ عَلَىٰ سُرُرٍ مُّتَقَٰبِلِينَ ٤٤ يُطَافُ عَلَيْهِم بِكَأْسٍ مِّن مَّعِينٍۭ ٤٥ بَيْضَآءَ لَذَّةٍ لِّلشَّٰرِبِينَ ٤٦ لَا فِيهَا غَوْلٌ وَلَا هُمْ عَنْهَا يُنزَفُونَ ٤٧﴾ الصافات ٣٨-٤٧

الموقع الرسمي للشيخ: أبي قتيبة عمر بن محمد الطاهر شابي
SUBSCRIBE LIKE SHARE

❁ مقام المراقبة وهو دون المقام الاول في الرتبة بالنسبة لركن الاحسان، وهو المعنى المشار اليه في كلام المصنف رحمه الله. فإن لم تكن تراه فإنه يراك. والمعلوم أن هذا هو الشق الثاني من إجابته ﷺ على سؤال جبريل عليه السلام أخبرني عن الاحسان؟

❁ ومقصود هذا المقام يُفهم من خلال مدلول معنى المراقبة الذي أشار إليه أهل العلم أثناء شُرحاتهم لحديث جبريل عليه السلام.

❁ ومعناه أن العبد إن لم يتمكن من تواجده في مقام المشاهدة فيعبد الله ﷻ كأنه يراه فيخافه ويخشاه ويراقبه في عبادته، ابتداءً وانتهاءً إن لم يستطع أن يرتقي إلى هذه الدرجة العلية، فلا أقل من أن يكون في المقام الذي هو دون الاول وهو مقام المراقبة.

❁ أن يستحضر مراقبة الله له وهو يتلبس بطاعته ويتعبد له بشتى أنواع العبادة، ويعلم يقينا أن الله تعالى الذي مكنه من عبادته هو مطلع عليه عالم بسريرته وعلانيته، يسمع أقواله ويعلم أفعاله، بل ويعلم وساوس نفسه وخطرات قلبه وما دون ذلك سواء كان خاليا او مع الناس.

❁ قال ربي ﷻ: ﴿يَعْلَمُ خَائِنَةَ ٱلْأَعْيُنِ وَمَا تُخْفِى ٱلصُّدُورُ﴾ غافر ١٩.

❁ وقال ربي ﷻ: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَخْفَىٰ عَلَيْهِ شَىْءٌ فِى ٱلْأَرْضِ وَلَا فِى ٱلسَّمَآءِ﴾ آل عمران ٥.

❁ وقال ربي ﷻ: ﴿وَإِن تَجْهَرْ بِٱلْقَوْلِ فَإِنَّهُۥ يَعْلَمُ ٱلسِّرَّ وَأَخْفَى﴾ طه ٧.

❁ وقد جاء عن بعض السلف أنه قال: **من عمل لله على المشاهدة فهو عارف، ومن عمل على مشاهدة الله إياه فهو مخلص**[1].

❁ ويرى بعضهم أهل العلم أن الاحسان هو نهاية الاخلاص في عبادة الله ﷻ المتمثل في الانقياد بالطاعة على أكمل وجوهها وأتم صورها.

❁ ويعد الاحسان أعلى مراتب الدين وأعمُّها من جهة نفسها. وأخصها من جهة أصحابها. كما علمنا أن الإيمان أعمّ من جهة نفسه وأخص من جهة أصحابه.

[1] ذكره ابن رجب في كتابه جامع العلوم والحكم ص 169

- ومن ثمة فإنه يقال كل محسن مؤمن مسلم، وليس كل مسلم مؤمنا محسنا، وكلما ذكر الاحسان وأطلق دخل فيه معنى الايمان والإسلام، وليتضح الأمر أكثر فإن بعض أهل العلم يعبرون عن هذه المراتب الثلاث في الدين الاسلام في الدين الاسلام والايمان والاحسان بالدوائر، المحيط بعضها ببعض والمتباينة ضيقا واتساعا وكل دائرة تحمي أصحابها.
  - فأوسع هذه الدوائر دائرة الاسلام وأهلها كُثُرٌ، وهي بوابة الدين ومدخل الإسلام.
  - وتليها دائرة الايمان في السعة وأهلها أقل.
  - وتليها دائرة الاحسان وهي أضيق الدوائر وأهلها أقل القليل.
  - وقد ينتقل المرء في هذه الدوائر صعودا ونزولا بحسب قوة إسلامه وقوة إيمانه وكمال طاعته واحسانه.
  - فاذا خرج العبد من هذه الدوائر كلها فإنه ينتقل من الاسلام الى غير ملة الاسلام عياذًا بالله تعالى وليس بعد الكفر ذنب.

ولا يخفى على ذي بصيرة أن أهل الاحسان يجزون بسبب احسانهم جزاء موفورا. ويمنحون أجرا كبيرا وثوابا جزيلًا ويجنون ثمرات احسانهم في الدنيا وفي الاخرة كثيرة لا مقطوعة ولا ممنوعة. وانا اذكر لك بعضها تحفيزا لك وشحذا لهمتك وترغيبا لك.

الموقع الرسمي للشيخ
أبي قُتَيْبَةَ عُمَرَ بْنِ مُحَمَّدٍ الطَّاهِرِ شَابِي

- **أولا:** أهل الاحسان ينالون محبة الله ﷻ أصالة ومحبة رسول الله ﷺ تبعا قال الله ﷻ:﴿وَأَنفِقُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَلَا تُلْقُوا۟ بِأَيْدِيكُمْ إِلَى ٱلتَّهْلُكَةِ ۛ وَأَحْسِنُوٓا۟ ۛ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُحْسِنِينَ﴾ البقرة ١٩٥
- **ثانيا:** أهل الاحسان يزيدهم الله من فضله وإنعامه. قال ربي ﷻ: ﴿وَإِذْ قُلْنَا ٱدْخُلُوا۟ هَٰذِهِ ٱلْقَرْيَةَ فَكُلُوا۟ مِنْهَا حَيْثُ شِئْتُمْ رَغَدًا وَٱدْخُلُوا۟ ٱلْبَابَ سُجَّدًا وَقُولُوا۟ حِطَّةٌ نَّغْفِرْ لَكُمْ خَطَٰيَٰكُمْ ۚ وَسَنَزِيدُ ٱلْمُحْسِنِينَ﴾ البقرة ٥٨
- **ثالثا:** أهل الاحسان يكونون في معية ربهم بالنصر والتأييد والتسديد. قال ربي ﷻ: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوا۟ وَّٱلَّذِينَ هُم مُّحْسِنُونَ﴾ النحل ١٢٨.
- **رابعا:** أهل الاحسان تنالهم رحمة الله الواسعة. وتقرب منه. قال ربي ﷻ: ﴿وَلَا تُفْسِدُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ بَعْدَ إِصْلَٰحِهَا وَٱدْعُوهُ خَوْفًا وَطَمَعًا ۚ إِنَّ رَحْمَتَ ٱللَّهِ قَرِيبٌ مِّنَ ٱلْمُحْسِنِينَ﴾ الأعراف ٥٦.
- **خامسا:** أهل الاحسان ينالون عفو الله عنهم ومغفرته لهم. قال الله ﷻ: ﴿لَّيْسَ عَلَى ٱلضُّعَفَآءِ وَلَا عَلَى ٱلْمَرْضَىٰ وَلَا عَلَى ٱلَّذِينَ لَا يَجِدُونَ مَا يُنفِقُونَ حَرَجٌ إِذَا نَصَحُوا۟ لِلَّهِ وَرَسُولِهِۦ ۚ مَا عَلَى ٱلْمُحْسِنِينَ مِن سَبِيلٍ ۚ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ التوبة ٩١.

سادسا: أهل الاحسان أجرهم عند ربهم مضمون محفوظ لا يضيع منه شيء. قال الله ﷻ: ﴿وَٱصۡبِرۡ فَإِنَّ ٱللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجۡرَ ٱلۡمُحۡسِنِينَ﴾ هود ١١٥.

سابعا: أهل الاحسان يحصلون على ما يشاءون من خيرات ونعم عند ربهم. قال الله ﷻ: ﴿لَهُم مَّا يَشَآءُونَ عِندَ رَبِّهِمۡۚ ذَٰلِكَ جَزَآءُ ٱلۡمُحۡسِنِينَ﴾ الزمر ٣٤

ثامنا: أهل الاحسان تكفر عنهم سيئاتهم وتبدل حسنات. قال الله ﷻ: ﴿لِيُكَفِّرَ ٱللَّهُ عَنۡهُمۡ أَسۡوَأَ ٱلَّذِي عَمِلُواْ وَيَجۡزِيَهُمۡ أَجۡرَهُم بِأَحۡسَنِ ٱلَّذِي كَانُواْ يَعۡمَلُونَ﴾ الزمر ٣٥.

ثم ساق المصنف رحمه الله الادلة والشواهد: لبيان تحقيق هذا الركن المهم من الدين والمنزلة العالية بدرجتيها المتفاوتتين ومقاميها المتميزين.

الموقع الرسمي للشيخ: أبي عبد الله محمد بن عمر بن محمد الطاهر شادي

فقال رحمه الله والدليل قوله تعالى: (إِنَّ اللَّهَ مَعَ الَّذِينَ اتَّقَوْا وَّالَّذِينَ هُم مُّحْسِنُونَ) [النحل: 128].

ووجه الاستدلال من هذه الآية الكريمة أن الله تعالى ذكرها هنا معينة لعباده الذين هم محسنون في اعتقادهم وقولهم وعملهم مسارعين الى طاعة ربهم ومتابعة نبيهم ﷺ. فاخلصوا بذلك عبادة ربهم وجاءوا بها على الوجه الاكمل الاتم. وهذه المعية المذكورة في الآية الكريمة في هذا الموطن تقتضي أمرين متلازمين متكاملين:

أحدهما: أن الله تعالى مطلع على عباده المحسنين عالم به محيط بأحوالهم الباطنة والظاهرة لا يفوته تعالى شيء منها لا مثقال الذر أو أقل من ذلك سواء ما يجري على ألسنتهم أو يجول في خواطرهم أو توسوس به أنفسهم كل ذلك تحت سمعه وبصره وعلمه سبحانه وتعالى أليس هو القائل سبحانه وتعالى ﴿وَلَقَدۡ خَلَقۡنَا ٱلۡإِنسَٰنَ وَنَعۡلَمُ مَا تُوَسۡوِسُ بِهِۦ نَفۡسُهُۥۖ وَنَحۡنُ أَقۡرَبُ إِلَيۡهِ مِنۡ حَبۡلِ ٱلۡوَرِيدِ﴾ ق ١٦. وقال سبحانه وتعالى ﴿أَلَمۡ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ يَعۡلَمُ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلۡأَرۡضِۖ مَا يَكُونُ مِن نَّجۡوَىٰ ثَلَٰثَةٍ إِلَّا هُوَ رَابِعُهُمۡ وَلَا خَمۡسَةٍ إِلَّا هُوَ سَادِسُهُمۡ وَلَآ أَدۡنَىٰ مِن ذَٰلِكَ وَلَآ أَكۡثَرَ إِلَّا هُوَ مَعَهُمۡ أَيۡنَ مَا كَانُواْۖ ثُمَّ يُنَبِّئُهُم بِمَا عَمِلُواْ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِۚ إِنَّ ٱللَّهَ بِكُلِّ شَيۡءٍ عَلِيمٌ﴾ المجادلة ٧.

والثاني: انه سبحانه وتعالى مع المحسنين ينصرهم ويؤيدهم ويؤازرهم ويسدد خطاهم ويحفظهم ويرعاهم. ويظهرهم على عدوهم وهذه المعية معية خاصة بأهل الايمان والاحسان والتقوى.

وها هنا نكتة في لفظة **محسنون**. الواردة في الآية جاءت على صيغة اسم الفاعل وهو يعمل عمل فعله يدل على الحدث والاستمرار والمحسن من أحسن وداوم على احسانه قالا وحالا.

ذكر المصنف رحمه الله الدليل الثاني فقال وقَوْلُهُ تَعَالَى: (وَتَوَكَّلْ عَلَى الْعَزِيزِ الرَّحِيمِ * الَّذِي يَرَاكَ حِينَ تَقُومُ * وَتَقَلُّبَكَ فِي السَّاجِدِينَ * إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ) [الشعراء: 217 ـ 220].

ووجه الاستدلال من هذه الآية الكريمة أن الله سبحانه وتعالى ذكر رؤيته لنبيه صلى الله عليه وسلم حال كونه متلبساً بعبادته في صلاته أثناء ركوعه وسجوده، منفردا أو مؤتما به أصحابه أو خارج صلاته، حيث يكون في تلاوة كلام ربه جل وعلا أو في أي عمل من أعماله صلى الله عليه وسلم فهو تبارك وتعالى يرى نبيه صلى الله عليه وسلم ومن معه في تقلبهم وفي عباداتهم، وفي صحيح أحوالهم ويوافيهم ويحصي عليهم حركاتهم وسكناتهم، وكل ما يأتون أو يظهرون من أعمالهم. وهذا فيه اشارة إلى المعنى المتضمن الشق الثاني في تعريف الشيخ رحمه الله للإحسان وهو قوله: فان لم تكن تراه فانه يراك وهو ذاته المأخوذ من حديث جبريل عليه السلام في اجابته صلى الله عليه وسلم على معنى الاحسان.

الموقع الرسمي للشيخ

ثم ساق رحمه الله تعالى الدليل الثالث فقال: وقَوْلُهُ تَعَالَى: (وَمَا تَكُونُ فِي شَأْنٍ وَمَا تَتْلُو مِنْهُ مِن قُرْآنٍ وَلَا تَعْمَلُونَ مِنْ عَمَلٍ إِلَّا كُنَّا عَلَيْكُمْ شُهُودًا إِذْ تُفِيضُونَ فِيهِ) [يونس: 61].

ووجه الاستدلال من هذه الآية الكريمة المتضمن في قوله جل وعلا إِلَّا كُنَّا عَلَيْكُمْ شُهُودًا إِذْ تُفِيضُونَ فِيهِ وشهود الله جل وعلا لما يعلمه العباد من مفردات معانيه رؤيته سبحانه وتعالى لهم ولأعمالهم. وعلمه بأحوالهم كلها بواطنها وظواهرها خفيها وجليها كثيرها وقليلها قريبها وبعيدها لا يغيب عنه شيء منها ولا يعزب عنه مثقال ذرة منها فهو محيط علما وسمعا وبصرا بجميع شؤون حياتهم وعباداتهم من تلاوة للقرآن العظيم وصلاة وذكر وغيرها من الطاعات والقربات وغيرها من الأعمال المتصلة بحياتهم فإنه لا يحدث حادث ولا يتحرك متحرك ولا يسكن ساكن ولا يظهر خفي ولا يخفى ظاهر الا وهو يُبصره ويسمعه ويعلمه. قال الله جل وعلا: ﴿وَهُوَ ٱللَّهُ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَفِى ٱلْأَرْضِ يَعْلَمُ سِرَّكُمْ وَجَهْرَكُمْ وَيَعْلَمُ مَا تَكْسِبُونَ ٣ وَمَا تَأْتِيهِم مِّنْ ءَايَةٍ مِّنْ ءَايَٰتِ رَبِّهِمْ إِلَّا كَانُوا۟ عَنْهَا مُعْرِضِينَ ٤﴾ الأنعام ٣-٤

واعلم رحمني الله وإياك أن مرتبة الاحسان تعظم بقدر عظم مراقبة العبد لربه جل وعلا. في عبادته إياه، فتشمل جميع أحواله وكذلك تضعف بضعف مراقبته لربه جل وعلا.

بسبب الصوارف والمعيقات والمُشغلات التي تكون بين العبد وبين احسانه في عبادته لربه تعالى. ومن وهنا يكون حظ العبد في تحقيق ركن الاحسان بحسب قوة رقابته ومراقبته لله ﷻ وضعفها. ولذلك يقرر أهل العلم أن من اسباب ارتقاء هذه المرتبة السنية العالية وهي الاحسان أن يُقبل العبد على تعلم العلم النافع المفضي الى العمل الصالح.

ويشترط في هذا العلم أن يكون مستمدا من:

- نصوص الكتاب
- والسنة الصحيحة
- آثار السلف الصالح.
- وكذلك باستصحاب النية الصادقة الخالية من شوائب الرياء والسمعة، والشهرة، وحب الظهور والمدح.
- ثم حسن العمل القائم على الإخلاص والاتباع.
- والتبرؤ من الشرك والابتداع
- وان يبتغي بذلك وجه الله ﷻ.
- ومع ذلك كله فإنه أحرى بالعبد أن يقر بتقصيره في حق ربه ﷻ.
- وكذا ضعفه أثناء القيام بعبادته ﷻ.
- وما تقصيره أيضا في آداء حقوق الخلق.
- ثم ينبغي للعبد الراغب في احسان عبادة ربه الا يألو جهدا في التوبة الى الله ﷻ والانابة إليه
- وملازمة احسان القول والعمل ما وجد الى ذلك سبيلا.
- وشأن المؤمن الموحد السائر على درب سلفه الصالحين أن ينظر الى ما هو أصلح وانفع له في دنياه وفي أُخراه. فإن كل ما كان أصلح وأنفع في عبادته كان أفضل وأكمل.

وتتحقق ركن الاحسان في العبادة بأمرين.

إحداهما: الاتيان بالواجبات وتكميلها وتحسينها بجنسها من نوافل العبادات المستحبات. وذلك في باب الطاعة المختلفة.

الموقع الرسمي للشيخ: أبي عبيدة مسعود بن محمد الطاهر شابي
SUBSCRIBE LIKE SHARE

والثاني: اجتناب المنهيات على مختلف درجاتها كبائرها صغائرها، وتكميل ذلك بالبعد عن المكروهات، والمشتبهات في الامور غير البينة الواضحة.

ويجمع ذلك كله: موافقة الظاهر للباطل، فيحصل للعبد المطيع بذلك الجمع بين حسن السريرة وجمال السيرة.

وأما الإحسان الى الخلق فإنه يأتي أيضا على مرتبتين:

احداهما: كف الاذى عن الخلق بكل أنواعه ووسائله اختيارا لاضطرارا.

والثان: تحمل اذى المؤمنين منهم والصفح عنهم عند المقدرة والتجاوز عن اساءتهم ومقابلة ذلك كله بالإحسان إليهم ما أمكنه الأمر وتيسرت له الوسيلة تحقيقا للمصلحة والراجحة

ثم بعد ذلك أورد المصنف رحمه الله الشواهد القرآنية عزز ذلك بإيراد دليل آخر من السنة فقال وَالدّلِيلُ مِنَ السُنّة: حَدِيثُ جِبْرِيلَ الْمَشْهُورُ: عَنْ عُمَرَ بن الْخَطّاب ـ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ ـ قَالَ: بَيْنَمَا نَحْنُ جُلُوسٌ عِنْدَ النّبِيّ ـ صَلّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ ـ إِذْ طَلَعَ عَلَيْنَا رَجُلٌ، شَدِيدُ بَيَاضِ الثّيَابِ، شَدِيدُ سَوَادِ الشّعْرِ، لا يُرَى عَلَيْهِ أَثَرُ السّفَرِ، وَلا يَعْرِفُهُ مِنّا أَحَدٌ، فَجَلَسَ إِلَى النّبِيّ ـ صَلّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ ـ فَأَسْنَدَ رُكْبَتَيْهِ إِلَى رُكْبَتَيْهِ، وَوَضَعَ كَفّيْهِ عَلَى فَخِذَيْهِ، وَقَالَ: يَا مُحَمّدُ أَخْبِرْنِي عَنِ الإِسْلامِ فَقَالَ: (أَنْ تَشْهَدَ أَنْ لا اله إِلا اللهُ وَأَنّ مُحَمّدًا رَسُولُ اللهِ، وَتُقِيمَ الصّلاةَ، وَتُؤْتِيَ الزّكَاةَ، وَتَصُومَ رَمَضَانَ، وَتَحُجّ الْبَيْتَ إِنْ اسْتَطَعْتَ إِلَيْهِ سَبِيلًا). قَالَ: صَدَقْتَ. فَعَجِبْنَا لَهُ يَسْأَلُهُ وَيُصَدّقُهُ. قَالَ: أَخْبِرْنِي عَنِ الإِيمَانِ. قَالَ:(أَنْ تُؤْمِنَ بِاللهِ، وَمَلائِكَتِهِ، وَكُتُبِهِ، وَرُسُلِهِ، وَالْيَوْمِ الآخِرِ، وَتُؤْمِنَ بِالْقَدَرِ خَيْرِهِ وَشَرّهِ). قَالَ: صَدَقْتَ. قَالَ: أَخْبِرْنِي عَنِ الإِحْسَانِ.

قَالَ: (أَنْ تَعْبُدَ اللهَ كَأَنّكَ تَرَاهُ، فَإِنْ لَمْ تَكُنْ تَرَاهُ فَإِنّهُ يَرَاكَ).

قَالَ: أَخْبِرْنِي عَنِ السّاعَةِ. قَالَ: (مَا الْمَسْؤُولُ عَنْهَا بِأَعْلَمَ مِنَ السّائِلِ).

قَالَ: فَأَخْبِرْنِي عَنْ أَمَارَاتِهَا. قَالَ: (أَنْ تَلِدَ الأَمَةُ رَبّتَهَا، وَأَنْ تَرَى الْحُفَاةَ الْعُرَاةَ الْعَالَةَ رِعَاءَ الشّاءِ يَتَطَاوَلُونَ فِي الْبُنْيَانِ). قَالَ: فَمَضَى، فَلَبِثْنَا مَلِيًّا، فَقَالَ: (يَا عُمَرُ أَتَدْرُونَ مَنِ السّائِلِ؟). قُلْنَا: اللهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ، قَالَ: (هَذَا جِبْرِيلُ أَتَاكُمْ يُعَلّمُكُمْ أَمْرَ دِينِكُمْ).

ويبدو ان الشيخ رحمه الله في تجلية الحق وبيانه لم يكتف بسوق أدلة الكتاب بل قوى استدلاله على ذلك بذكره حديث جبريل عليه السلام. والذي تضمن تعريف ركن الاحسان من قبل النبي صلى الله عليه وسلم ردا على سؤال جبريل عليه السلام عن الاحسان؟

وهو دليل صحيح من السنة الثانية. فقد اخرجه مسلم في صحيحه من حديث عمر بن الخطاب رضي الله عنه وهو مما تفرد به مسلم رحمه الله عن البخاري رحمه الله أما الرواية المتفق عليها فان من حديث أبي هريرة رضي الله عنه

لكن أكثر أهل العلم لا يذكرونها لأنها تخلو من ذكر ركن الايمان بالقدر في تعريف الايمان. وذلك عند الاستدلال بهذا الحديث.

- والشاهد الذي استدل به الشيخ رحمه الله على ركن الاحسان هو المذكور في اجابته صلى الله عليه وسلم عن سؤال جبريل عليه السلام فأخبرني عن الاحسان؟ قَالَ: (أَنْ تَعْبُدَ اللهَ كَأَنَّكَ تَرَاهُ، فَإِنْ لَمْ تَكُنْ تَرَاهُ فَإِنَّهُ يَرَاكَ).

فجاء التفسير النبوي لمعنى الاحسان بعبارة واضحة جلية قد بينت الغرض وبلغت الغاية ودلت على المقصود ولعظم شأن هذا الحديث الشريف اعتبره كثير من أهل العلم انه أم السنة كما أن في القرآن الكريم أم القرآن وهي سورة الفاتحة.

- ويسمى هذا الحديث كذلك لأنه في الحقيقة عند النظر والتأمل نجد أن جميع أحاديث السنة ترجع في مضامينها ومعانيها الى هذا الحديث الجليل القدر العظيم الشأن.

وقد جاء هذا الحديث بأسلوب حواري بين معلم وطالب، بين سائل ومسؤول في مجلس طلب علم ومذاكرة، الغرض منه تعليم الحاضرين من اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم دينهم وذلك ما أشار اليه النبي صلى الله عليه وسلم في آخر الحديث بقوله: قَالَ: (هَذَا جِبْرِيلُ أَتَاكُمْ يُعَلِّمُكُمْ أَمْرَ دِينِكُمْ).

- والحديث تضمن أصول الدين ودرجاته وأهم مسائله المتعلقة بالاعتقادات الباطنة والاقوال والاعمال الظاهرة. وما يتصل بأمور الغيب وشرائط الساعة وغيرها.

- ومراد الشرخ رحمه الله بالاستدلال بهذا الحديث ما جاء في بيان معنى مرتبة الاحسان في قوله صلى الله عليه وسلم قَالَ: (أَنْ تَعْبُدَ اللهَ كَأَنَّكَ تَرَاهُ، فَإِنْ لَمْ تَكُنْ تَرَاهُ فَإِنَّهُ يَرَاكَ). وقد مرّ قريبا شرح ذلك وتأكيدا لما مرّ من الكلام أن الاحسان المقصود هو ايقاع العبد عبادته لربه تبارك وتعالى على الوجه الاكمل المطلوب. من جهة اخلاصها لله تبارك وتعالى ومراعاة تكميلها وتحسينها وتنقيتها من كل شائبة وكدر.

- وقد جاء الاحسان في القرآن العظيم :

- مرة مقرونا بالتقوى فقال الله تبارك وتعالى: ﴿لَيْسَ عَلَى ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ جُنَاحٌ فِيمَا طَعِمُوٓاْ إِذَا مَا ٱتَّقَواْ وَّءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ ثُمَّ ٱتَّقَواْ وَّءَامَنُواْ ثُمَّ ٱتَّقَواْ وَّأَحْسَنُواْ ۗ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلْمُحْسِنِينَ﴾ المائدة ٩٣

۞ وتارة يأتي مقرونا بالإسلام فقال الله ﷻ: ﴿۞ وَمَن يُسۡلِمۡ وَجۡهَهُۥٓ إِلَى ٱللَّهِ وَهُوَ مُحۡسِنٞ فَقَدِ ٱسۡتَمۡسَكَ بِٱلۡعُرۡوَةِ ٱلۡوُثۡقَىٰۗ وَإِلَى ٱللَّهِ عَٰقِبَةُ ٱلۡأُمُورِ﴾ لقمان ٢٢

۞ ومرة آخرى مقرونا بالعمل الصالح كما قال الله ﷻ: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ إِنَّا لَا نُضِيعُ أَجۡرَ مَنۡ أَحۡسَنَ عَمَلًا﴾ الكهف ٣٠

۞ وقوله ﷺ في بيان ركن الاحسان ان تعبد الله كأنك تراه. اشتمل على شطرين

- الشطر الثاني منه قوله فان لم تكن تراه فانه يراك. جاء تعليلا للشطر الاول قوله ان تعبد الله كأنك تراه.

ويفهم من ذلك أن العبد أُمر بمراقبة ربه ﷻ أثناء عبادته له واستحضار قربه ﷻ منه.

۞ متى كان العبد يرى ربه بقلبه ويستشعر قربه منه، فإن كان هذا لا يتأتى له وقد يعسر عليه ويشق على نفسه أن يتمثله، فإنه يمكنه أن يستعين على ذلك بتحقيق المقام الثاني مقام المراقبة ويستحضر مراقبة الله ﷻ له والنظر اليه والعلم بجميع شؤونه وأحواله لا يغيب عنه منها شيء فيحمله ذلك على الاقبال على طاعة ربه ﷻ واحسان عبادته له في السر والعلن في الخلوة والجلوة فلا يلتفت الى غيره بقلبه وجوارحه ولا يستشعر غيره ﷻ وقد جاء في حديث الحارث الاشعري رضي الله عنه الذي رواه الامام الترمذي رحمه الله وصححه الشيخ الالباني رحمه الله في سنن الترمذي برقم (6863) وفيه : ﴿وإنَّ الله أمركم بالصَّلاة، فإذا صَلَّيتُم فلا تَلتَفِتوا؛ فإنَّ اللهَ يَنصِبُ وجهَه لوجهِ عبدِه في صلاتِه ما لم يَلتفِتْ﴾ [1] وجاء في بعض قول الحكماء قوله: ﴿من وجد الله فقد وجد كل شيء ومن فاته الله فاته كل شيء﴾

[1] الحديث بطوله : إنَّ اللَّهَ أمرَ يحيى بنَ زَكَريَّا بخمسِ كلماتٍ أن يعملَ بِها ، ويأمرَ بني إسرائيل أن يعمَلوا بِها ، وإنَّهُ كادَ أن يُبْطِئَ بِها فقال عيسى: إنَّ اللهَ أمَرَكَ بخَمسِ كلماتٍ؛ لِتعمَلَ بِها وتأمُرَ بَني إسرائيلَ أن يَعمَلوا بِها، فإمَّا أن تأمُرَهم، وإمَّا أنْ آمُرَهم، فقال يحيى: أخشى إن سبَقتَني بِها أن يُخسَفَ بي أو أُعذَّبَ، فجمَعَ النَّاسَ في بيتِ المقدِسِ، فامتَلأَ المسجدُ وقعَدوا على الشُّرُفِ، فقال: "إنَّ اللَّهَ أمَرَني بخَمسِ كلماتٍ أن أعمَلَ بِهِنَّ، وآمرُكم أن تعمَلوا بِهِنَّ: أوَّلُهُنَّ أن تعبُدوا اللَّهَ ولا تُشرِكوا به شيئًا، وإنَّ مَثلَ مَن أشرَكَ باللهِ كمثَلِ رجلٍ اشترى عبدًا مِن خالصِ مالِه بذهَبٍ أو ورِقٍ، فقال: هذه داري وهذا عمَلي، فاعمَلْ وأدِّ إليَّ، فكان يعمَلُ ويُؤدِّي إلى غيرِ سيِّدِه، فأيُّكم يَرضى أن يكونَ عبدُه كذلك؟! وإنَّ اللهَ أمركم بالصَّلاةِ، فإذا صَلَّيتُم فلا تَلتَفِتوا؛ فإنَّ اللهَ يَنصِبُ وجهَه لوجهِ عبدِه في صلاتِه ما لم يَلتفِتْ، وآمرُكم بالصِّيامِ؛ فإنَّ مَثلَ ذلك كمثَلِ رجلٍ في عِصابةٍ معَه صُرَّةٌ فيها مِسكٌ، فكلُّهم يَعجَبُ أو يُعجِبُه ريحُها، وإنَّ ريحَ الصَّائمِ أطيبُ عندَ اللهِ مِن ريحِ المسكِ، وآمرُكم بالصَّدقةِ؛ فإنَّ مثَلَ ذلك كمثَلِ رجلٍ أسَره العدوُّ، فأوثَقوا يدَه إلى عنُقِه، وقدَّموه لِيَضرِبوا عُنقَه، فقال: أنا أُفْديه منكم بالقليلِ والكثيرِ، ففدَى نفسَه منهم، وآمُركم أن تَذكُروا اللهَ؛ فإنَّ مَثلَ ذلك كمَثلِ رجلٍ خرَجَ العدوُّ في أثَرِه سِراعًا حتَّى إذا أتى على حِصنٍ حَصينٍ، فأحرَزَ نفسَه منهم، كذلك العبدُ لا يُحرِزُ نفسَه مِن الشَّيطانِ إلَّا بذِكرِ اللهِ". قال النَّبيُّ صلَّى اللهُ عليه وسلَّم: وأنا آمرُكم بخَمسٍ اللهُ أمرَني بِهِنَّ، السَّمعُ والطَّاعةُ والجِهادُ والهِجرةُ والجَماعةُ، فإنَّهُ مَن فارقَ الجماعةَ قيدَ شبرٍ فقد خلَعَ ربقةَ الإسلامِ من عُنقِهِ إلَّا أن يراجِعَ، ومن ادَّعى دَعوى الجاهليَّةِ فإنَّهُ من جُثى جَهنَّمَ، فقالَ رجلٌ: يا رسولَ اللهِ وإن صلَّى وصامَ؟ فقالَ: وإن صلَّى وصامَ، فادعوا بدَعوى اللهِ الَّذي سمَّاكمُ المسلِمينَ المؤمنينَ، عبادَ اللهِ